ذكر الوقت الذي أُرسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

بعث الله نبيّه محمّداً، ﷺ، لعشرين سنة مضت من مُلْك كسرى أبرويز بن هرمز ابن أنوشِروان، وكان على الحيرة إياس بن قَبيصة الطائيّ عاملاً للفرس على العرب[2].

قال ابن عبّاس من رواية حمزة، وعِكرمة عنه، وأنس بن مالك، وعُروة بن الزّبَير: إنّ النبيّ، ﷺ، بُعث وأُنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة[3].

وقال ابن عبّاس من رواية عِكْرمة أيضاً، عنه، وسعيد بن المسيّب: إنّه أُنزل عليه، ﷺ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[4].

وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف. واختلفوا في أيّ الأثانين كان ذلك.

فقال أبو قِلابة الجَرْميّ: أُنزل الفُرقان على النبيّ، ﷺ، لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان[5].

وقال آخرون: كان ذلك لتسع[6] عشرة مضت من رمضان.

وكان، ﷺ، قبل أن يظهر له جبرائيل يرى ويعاين آثاراً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه

---

(١) المعارف ١٥٠، تاريخ خليفة ٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢، مروج الذهب ٢/٢٨٢، الطبقات الكبرى ١/١٩٠، أنساب الأشراف ١/١٠٣ وما بعدها، تاريخ الطبري ٢/٢٩٠، نهاية الأرب ١٦/١٦٨، السيرة النبوية لابن كثير ١/٣٨٨، البداية والنهاية ٣/٤، عيون التواريخ ١٤/٤٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، تاريخ الخميس ١/٣١٦.

(٢) أنساب الأشراف ١/١٠٣، ١٠٤.

(٣) الطبري ٢/٢٩٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٢٩٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٠، السير والمغازي ١٣٤، المستدرك على الصحيحين ٢/٦١٠.

(٥) الطبري ٢/٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) هكذا في الأصل والمطبوع، وعند ابن سعد ١/١٩٤ والطبري ٢/٢٩٤ سبع عشرة. وكذلك في أنساب الأشراف ١/١٠٤ رقم ١٨٨.

بفضله. وكان من ذلك ما ذكرتُ من شقّ المَلَكَين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغِلّ والدَنَس.

ومن ذلك أنّه كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ سلّم عليه، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً[1]. وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه، وتخبر علماءُ كلّ أمّة قومَها بذلك.

قال عامر بن ربيعة: سمعتُ زيد بن عمرو بن نُفَيْل يقول: إنّا لننتظر نبيّاً من ولد إسماعيل، ثمّ من بني عبد المطّلب، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدّقه وأشهد أنّه نبيّ، فإن طالت بك حياة ورأيتَهُ فأقرئه منّي السلام، وسأخبرك ما نَعْتُهُ حتى لا يخفى عليك. قلتُ: هلمّ. قال: هو رجل ليس بالطويل. ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، ولا تفارق عينيه حُمرة، وخاتم النبوّة بين كتفيْه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثمّ يُخرجه قومُهُ ويكرهون ما جاء به، ويهاجر إلى يثرب فيَظْهر بها أمرُهُ، فإيّاك أن تنخدع عنه، فإنّي طُفْتُ البلاد كلّها أطلب دين إبراهيم، فكلٍّ مَنْ أسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدّين وراءك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبقَ نبيّ غيره.

قال عامر: فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسول الله، ﷺ، قول زيد وأقرأتُهُ السلام. فردّ عليه رسول الله، ﷺ، وترحّم عليه وقال: «قد رأيتُهُ في الجنّة يسحب ذيولاً»[2].

وقال جُبَير بن مُطْعم: كُنّا جلوساً عند صنم ببُوَانة[3] قبل أن يُبْعَث رسول الله، ﷺ، بشهر. نحرنا جَزوراً، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا إلى العجب، ذهب استراق[4] الوحي ونُرمى بالشُّهب لنبيّ بمكّة اسمه أحمد، مُهاجَره إلى يثرب. قال: فأمسكنا وعجِبْنا، وخرج رسول الله، ﷺ[5].

والأخبار عن دلائل نبوّته كثيرة، وقد صنّف العلماء في ذلك كتباً كثيرة ذكروا فيها كلّ عجيبة، ليس هذا موضع ذكرها.

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٠٤ رقم ١٨٩، الطبري ٢/٢٩٥.

(٢) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٦١، ١٦٢، تاريخ الطبري ٢/٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) في النسخة (ب): «سوابه». وفي الطبعة الأوربية «سوانة». وفي طبعة صادر ٢/٤٧ «بوانة»، وقد يفهم أنه صنم اسمه بوانة. وما أثبتناه عن الطبري.

وبُوانة: بالضم وتخفيف الواو. هضبة وراء ينبُع قريبة من ساحل البحر وقريب منها ماءة تسمّى القُصَيبة وماء آخر يقال له المجاز. (معجم البلدان ١/٥٠٥).

(٤) في الطبعة الأوربية «إشراق».

(٥) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٦١، وتاريخ الطبري ٢/٢٩٧.

ذكر ابتداء الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم[1]

قالت عائشة، رضي الله عنها: كان أوّل ما ابتدىء [به] رسول الله، ﷺ، من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فَلَق الصبح، ثمّ حُبّب إليه الخلاء، فكان بغار حِراء يتعبّد فيه الليالي ذوات العدد، ثمّ يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتى فجأة الحقّ، فأتاه جبرائيل فقال: يا محمّد أنت رسول الله. قال رسول الله، ﷺ: فجثوت لركبتي، ثمّ رجعت ترجف بوادري[2]، فدخلتُ على خديجة فقلت: «زمّلوني زمّلوني»! ثمّ ذهب عنّي الرَّوع، ثمّ أتاني فقال: يا محمّد أنت رسول الله. قال: فلقد هممتُ أن أطرح نفسي من حالق، فتبدّى لي حين هممتُ بذلك فقال: يا محمّد أنا جبرائيل وأنت رسول الله، قال: اقرأ. قلتُ: وما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتّني[3] ثلاث مرّات، حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[4]، فقرأتُ. فأتيت خديجة، فقلت لقد أشفقت على نفسي وأخبرتها خبري، فقالت: أبشِرْ، فَوَالله لا يُخزيك الله أبداً، فوالله إنّك لَتَصِل الرَّحِم، وتصدُق الحديث، وتؤدّي الأمانة، وتحمل الكَلّ، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحقّ.

ثمّ انطلقت بي إلى وَرَقة بن نوفل، وهو ابن عمّها، وكان قد تنصّر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فقالت: اسمع من ابن أخيك. فسألني فأخبرته خبري. فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عِمران، ليتني كنت حيّاً حين يُخرجك قومك. قلتُ: أمُخْرِجيّ هم؟ قال: نعم، إنّه لم يجيء أحد بمثل ما جئتَ به إلّا عُودِيَ، ولَئِن أدركني يومك لأنصرنّك نصراً مؤزَّراً[5].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٩٤، السيرة النبوية ١/٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨، أنساب الأشراف ١/١٠٥، ١٠٦، نهاية الأرب ١٦/١٦٨، السيرة الحلبية ١/٢٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤١٠، عيون التواريخ ١/٤٣، عيون الأثر ١/٨٢، البداية والنهاية ٣/٢، السيرة النبوية لابن كثير ١/٤١٢، تاريخ الخميس ١/٣١٧، صِفة الصفوة ١/٧٨.

(٢) البوادر: جمع بادرة: لحمة بين المنكب والعنق.

(٣) في النسخة (ت): «فغيبني».

(٤) سورة العلق ـ الآية ١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ١/٢١ ـ ٢٧ في بدء الوحي، وفي الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب موسى إنّه كان مخلصاً»، وفي تفسير سورة «اقرأ باسم ربّك الذي خلق»، وفي التعبير باب أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ومسلم رقم (١٦٠) في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله ﷺ، ورواه الترمذي، برقم (٣٦٣٦) في المناقب، باب رقم ١٣، وذكر بعضه ابن هشام في السيرة ١/٢٧٠، وابن سعد في الطبقات ١/١٩٤، والطبري في تاريخه ٢/٢٩٨، ٢٩٩، وفي تفسيره ٣٠/١٦١، ١٦٢، وابن الجوزي =

ثمّ إنّ أوّل ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ: ﴿ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1] و ﴿يَا أَيُهَا المُدَّثِّرُ﴾[2] ﴿وَالضُّحَى﴾[3].

وقالت خديجة لرسول الله، ﷺ، فيما تثبّته فيما أكرمه الله به من نُبُوَّته: يا ابن عمّ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. فجاءه جبرائيل، فأعلمها. فقالت: قم فاجلسْ على فخذي اليسرى، فقام، ﷺ، فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّلْ فاقعدْ على فخِذِي اليمنى. فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسّرت فألقت خمارها، ورسول الله، ﷺ، في حِجْرها، ثمّ قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عمّ اثبتْ وأبشِرْ، فَوَالله إنّه مَلَكٌ، وما هو بشيطان![4].

وقال يَحيَى بن أبي كثير: سألتُ أبا سَلَمَة عن أوّل ما نزل من القرآن، قال: نزلت ﴿يَا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾ أوّل. قال: قلت: إنّهم يقولون ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. قال: سألت جابر ابن عبد الله قال: لا أحدّثك إلاّ ما حدّثنا رسول الله، ﷺ، قال: جاورتُ بِحراء، فلمّا قضيت جواري هبطتُ فسمعت صوتاً، فنظرتُ عن يميني، فلم أَرَ شيئاً، ونظرتُ عن يساري فلم أَرَ شيئاً، ونظرتُ خلفي وأمامي، فلم أَرَ شيئاً، فرفعتُ رأسي فإذا هو، يعني المَلَك، جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيتُ[5] منه فأتيتُ خديجة فقلتُ: دثّروني دثّروني، وصُبّوا عليّ ماء، ففعلوا، فنزلت: ﴿يَا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾، هذا حديث صحيح[6].

قال هشام بن الكلبي: أتَى جبرائيلُ النبيَّ، ﷺ، أوّل ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد، ثمّ ظهر له برسالة الله يوم الاثنين فعلّمه الوضوء والصلاة، وعلّمه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

= في صفة الصفوة ١/٧٨ ـ ٨٠، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٩٦، والنويري في نهاية الأرب ١٦/١٦٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧ ـ ١١٩، والسيرة الحلبية ١/٢٣٣، والديار بكري في تاريخ الخميس ١/٣١٧.

(١) سورة القلم ـ الآيتان ١ و ٢.

(٢) سورة المدّثّر ـ الآية ١.

(٣) سورة الضحى ـ الآية ١.

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٢٧١ ـ ٢٧٣، وتاريخ الطبري ٢/٣٠٣.

(٥) ورد في نسخة «محييت».

(٦) أخرجه البخاري ٦/٧٤ في كتاب التفسير، سورة المدّثّر، ومسلم (١٦١) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده ٣/٣٠٦ وتكرّر في الصفحة، و٣٩٢، ورواه البيهقي في دلائل النبوّة ١/٤١٠، والطبري في تاريخه ٢/٣٠٤، وتفسيره ٢٩/٩٠، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٥.

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وكان لرسول الله، ﷺ، أربعون سنة[1].

قال الزُّهريّ: فتر الوحيّ عن رسول الله، ﷺ، فترةً، فحزن حُزناً شديداً، وجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليتردّى منها، فكلّما رقي ذروة[2] جبل تبدّى له جبرائيل فيقول: إنّك رسول الله حقّاً. فيسكن لذلك جأشه وترجع نفسه. فلمّا أمر الله نبيّه، ﷺ، أن يُنذِر قومه عذابَ الله على ما هم عليه من عبادة الأصنام دون الله الذي خلقهم ورزقهم، وأن يحدّث بنعمة ربّه عليه، وهو النبوّة في قول ابن إسحاق، فكان يذكر ذلك سرّاً لمن يطمئنّ إليه من أهله، فكان أوّل مَن آمن به وصدّقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خُوَيْلد زوجته[3].

قال الواقدي: أجمع أصحابنا على أن أوّل أهل القبلة استجاب لرسول الله، ﷺ، خديجة[4].

* * *

ثمّ كان أوّل شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان: الصلاة، وإنّ الصلاة لما فُرضت عليه، ﷺ، أتاه جبرائيل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت فيه عين، فتوضّأ جبرائيل، وهو ينظر إليه، لُيريه كيف الطُّهور للصلاة، ثمّ توضّأ رسول الله، ﷺ، مثله، ثمّ قام جبرائيل فصلّى به وصلّى النبيّ، ﷺ، بصلاته، ثمّ انصرف. وجاء رسول الله، ﷺ، إلى خديجة فعلّمها الوضوء، ثمّ صلّى بها فصلّت بصلاته[5].

ذكر المِعْراج برسول الله، ﷺ

اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة واحدة.

---

(١) الطبري ٢/٣٠٤، أنساب الأشراف ١/١٠٥ رقم ١٩١.

(٢) في إحدى النسخ «أوفى بذروة».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٧٤، تاريخ الطبري في تاريخه ٢/٣٠٦، ٣٠٧، أنساب الأشراف ١/١١١ رقم ٢٠٩، أسد الغابة ٥/٢٣٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٧.

(٤) الطبري ٢/٣٠٧.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٧٧، تاريخ الطبري ٢/٣٠٧، أنساب الأشراف ١/١١١ رقم ٢١٠ تاريخ الطبري ٢/٣٠٧، الطبقات الكبرى ١/٢١٣، نهاية الأرب ١٦/٢٨٣، عيون التواريخ ١/٤٥، عيون الأثر ١/١٤٠، البداية والنهاية ٣/١٠٨، الروض الأنف ١/٢٨٢، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٥٣، تاريخ الخميس ١/٣٥٦.

واختلفوا في الموضع الذي أُسري برسول الله، ﷺ، منه، فقيل: كان نائماً بالمسجد في الحِجْر فأُسري به منه.

وقيل: كان نائماً في بيت أمّ هانىء بنت أبي طالب، وقائل هذا يقول: الحَرَم كلّه مسجد.

وقد روي حديث المعراج[1] جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة.

قالوا: قال رسول الله، ﷺ: أتاني جبرائيل وميكائيل فقالا: بأيّهم أُمرنا؟ فقالا: أُمرنا بسيّدهم؛ ثمّ ذهبا ثمّ جاءا من القابلة وهم ثلاثة، فَأَلْفَوْه[2] وهو نائم، فقلبوه لظهره وشقّوا بطنه، وجاؤوا بماء زمزم، فغسلوا ما كان في بطنه من غِلّ وغيره، وجاؤوا بطَسْتٍ مملوء إيماناً وحكمةً، فمُلىء قلبه وبطنه إيماناً وحكمةً. قال: وأخرجني جبرائيل من المسجد وإذا أنا بدابّة، وهي البُراق، وهي فوق الحمار ودون البغل، (يقوع خطوهُ)[3] عند منتهى طرفه، فقال: اركبْ، فلمّا وضعتُ يدي عليه تشامس واستصعب. فقال جبرائيل: يا بُراق ما ركِبك نبيّ أكرم على الله من محمّد، فانصبّ عرقاً وانخفض لي حتى ركِبْتُهُ، وسار بي جبرائيل نحو المسجد الأقصى، فأُتيتُ بإنائَين أحدهما لبن والآخر خمر، فقيل لي: اخترْ أحدَهما، فأخذتُ اللبن فشربتُهُ، فقيل لي: أصبتَ الفِطْرة، أما إنّك لو شربتَ الخمر لغَوَتْ أُمّتُك بعدك.

ثمّ سرنا فقال لي: انزلْ فصلِّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذه طَيْبة وإليها المُهاجَر.

ثمّ سرنا فقال لي: انزل فصلِّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذا طور سيناء حيث كلّم الله موسى. ثمّ سرنا فقال: انزلْ فصلِّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذا بيت لحم حيث وُلد عيسى. ثمّ سرنا حتى أتينا بيتَ المقدس، فلمّا انتهينا إلى باب المسجد أنزلني جبرائيل وربط البُراق بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء. فلمّا دخلتُ المسجد إذا أنا بالأنبياء حَوَاليَّ[4]، وقيل: بأرواح الأنبياء الذين بعثهم الله قبلي، فسلّموا عليّ، فقلتُ: يا جبرائيل مَنْ هؤلاء؟ قال: إخوانك من الأنبياء، زعمتْ قريشٌ أنّ لله شريكاً، وزعمت النصارى أنّ لله ولداً، سلْ هؤلاء النبيّين هل كان لله، عزّ وجلّ، شريك أو ولد، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾[5]؛ فأقرّوا

---

(١) في طبعة صادر ٢/٥١ «المعارج».

(٢) في الطبعة الأوربية «فألقوه» وهو تصحيف.

(٣) ما بين القوسين في الطبعة الأوربية ورد: «ثم مثل البراق خطوة». وقاع، يقوع: تمايل في مشيته.

(٤) في الطبعة الأوربية «حيّوالي».

(٥) سورة الزخرف ـ الآية ٤٥.

بالوحدانيّة لله، عزَّ وجلَّ، ثمّ جمعهم جبرائيل وقدّمني، فصلّيتُ بهم ركعتين.

ثمّ انطلق بي جبرائيل إلى الصخرة فصعد بي عليها، فإذا معراج إلى السماء لا ينظر الناظرون إلى شيء أحسن منه، ومنه تعرج الملائكة، أصله في صخرة بيت المقدِس، ورأسه ملتصق بالسماء، فاحتملني جبرائيل ووضعني على جناحه، وصعد بي إلى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! ففُتح، فدخلنا فإذا أنا برجل تامّ الخلقة، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيّبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى. فقلتُ: مَنْ هذا؟ وما هذان البابان؟ فقال: هذا أبوك آدم، والباب الذي عن يساره (باب جهنّم)[1]، إذا نظر إلى مَنْ يدخلها من ذرّيّته بكى وحزن.

ثمّ صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: [وقد بُعث إليه؟ قال: نعم]. قيل: مرحباً به ونِعْم المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل قد فضل الناس بالحسن. قلت: مَنْ هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا أخوك يوسف.

ثمّ صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل، فقلت: من هذا؟ قال: إدريس رفعه الله مكاناً عليّاً.

ثمّ صعد بي إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا رجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم. قلتُ: من هذا؟ قال: هذا هارون والذين حوله بنو إسرائيل.

ثمّ صعد بي إلى السماء السادسة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل جالس فجاوزناه، فبكى الرجل، فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت: فما باله يبكي؟ قال: يزعم بنو[2] إسرائيل أنّي أكرم على الله من آدم، وهذا الرجل من بني آدم قد خلّفني وراءه.

---

(١) في النسخة (ب): «النار».

(٢) في النسخة (ب): «لبني».

قال: ثمّ صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا رجل أشمط جالس على كرسيّ على باب الجنّة وحوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء فاغتسلوا في نهر وخرجوا، وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم. فقلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأمّا الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[1]، فتابوا فتاب الله عليهم، وإذا إبراهيم مستند إلى بيت، فقال: هذا البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه.

قال: وأخذني جبرائيل فانتهينا إلى سِدرة المُنتهَى، وإذا نَبِقها مثل قِلال هَجَر، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فأمّا الباطنان ففي الجنّة، وأمّا الظاهران فالنّيل والفرات، قال: وغَشِيَها[2] من نور الله ما غَشِيَها[2]، وغَشِيَها الملائكة كأنّهم جراد من ذهب من خشية الله، وتحوّلت حتى ما يستطيع أحد أن ينعتها، وقام جبرائيل في وسطها، فقال جبرائيل: تقدّمْ يا محمّد. فتقدّمتُ وجبرائيل معي إلى حجاب، فأخذ بي مَلَكٌ وتخلّف عنّي جبرائيل، فقلتُ: إلى أين؟ فقال: ﴿**وَمَا مِنَّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾[3]، وهذا منتهَى الخلائق.

فلم أزل كذلك حتى وصلتُ إلى العرش، فاتّضع كلّ شيء عند العرش وكَلّ لساني من هيبة الرحمن، ثمّ أنطق[4] الله لساني فقلت: التحيّات المباركات والصلوات الطيّبات لله، وفرض الله عليّ وعلى أمّتي في كلّ يوم وليلة خمسين صلاة. ورجعت إلى جبرائيل فأخذ بيدي وأدخلني الجنّة فرأيتُ القصور من الدُّرّ والياقوت والزبرجَد، ورأيتُ نهراً يخرج من أصله ماء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، يجري على رضراض من الدُّرّ والياقوت والمِسْك، فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك، ثمّ عرض عليّ النار، فنظرتُ إلى أغلالها وسلاسلها وحيّاتها وعقاربها وما فيها من العذاب.

ثمّ أخرجني، فانحدرنا حتى أتينا موسى، فقال: ماذا فرض عليك وعلى أمّتك؟ قلتُ: خمسين صلاة. قال: فإنّي قد بلوتُ بني إسرائيل قبلك وعالجتهم أشدّ المعالجة

---

(١) في الطبعة الأوربية «شيئاً».

(٢) في الأصل «وغشينا».

(٣) سورة الصافّات ـ الآية ١٦٤.

(٤) في الأصل «أطلق».

على أقلّ من هذا فلم يفعلوا، فارجعْ إلى ربّك فاسأله التخفيف. فرجعتُ إلى ربّي وسألتُه، فخفّف عني عشراً. فرجعتُ إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجعْ واسأله التخفيف. فرجعتُ فخفّف عنّي عشْراً، فلم أزل بين ربّي وموسى حتى جعلها خمساً، فقال: ارجعْ فاسأله التخفيف، فقلت: إنّي قد استحييتُ من ربّي وما أنا براجع، فنوديتُ: إنّي قد فرضتُ عليك وعلى أمّتك خمسين صلاة والخمس بخمسين، وقد أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي.

ثمّ انحدرتُ أنا وجبرائيل إلى مضجعي، وكان كلّ ذلك في ليلة واحدة.

فلمّا رجع إلى مكّة علم أن الناس لا يصدّقونه، فقعد في المسجد مغموماً، فمرّ به أبو جهل، فقال له كالمستهزىء: هل استفدتَ الليلة شيئاً؟ قال: نعم، أُسري بي الليلة إلى بيت المقدس. قال: ثمّ أصبحتَ بين ظهرانَيْنا؟ فقال: نعم. فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحده النبيّ، فقال: أتخبر قومك بذلك؟ فقال: نعم. فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لُؤيٍّ هلمّوا فأَقْبِلوا. فحدّثهم النبيّ، ﷺ، فمن بين مصدّق ومكذّب [ومصفق] وواضع يده على رأسه. وارتدّ الناس ممّن كان آمن به وصدّقه.

وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: إنّ صاحبك يزعم كذا وكذا! فقال: إنْ كان قال ذلك فقد صدق، إنّي لأصدّقه بما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو رَوْحة، فسُمّي أبو بكر الصدّيق من يومئذ.

قالوا: فانعتْ لنا المسجد الأقصى. قال: فذهبتُ أنعت حتى التبس عليّ، قال: فجيء بالمسجد (وإنّي أنظر إليه)[1]، فجعلتُ أنعته. قالوا: فأخبِرْنا عن عِيرنا. قال: قد مررتُ على عِير بني فلان بالرَّوحاء، وقد أضلُّوا بعيراً لهم وهم في طلبه، فأخذتُ قدحاً فيه ماء فشربته، فسلوهم عن ذلك، ومررتُ بعِير بني فلان وفلان وفلان، فرأيتُ راكباً وقعوداً بذي مرّ، فنفر بَكرهما منّي فسقط فلان فانكسرت يده، فسلُوهما. قال: ومررتُ بعِيركم بالتنعيم يقدمها جملٌ أورق عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم من طلوع الشمس.

فخرجوا إلى الثّنية فجلسوا ينظرون طلوعَ الشمس ليكذّبوه إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت. فقال آخر: والله هذه العير قد طلعت يقدمها بَعير أورق كما قال. فلم يُفلحوا وقالوا: إنّ هذا سحر مبين[2].

(١) العبارة في النسخة (ب): «حتى رأيته».

(٢) قارن بدلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٣٠، ١٣١، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣٨٧، وتاريخ الإسلام ٢٧٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١٣، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٦٧ ـ ١٦٩.

ذكر الاختلاف في أوّل مَنْ أسلم[1]

اختلف العلماء في أوّل من أسلم، مع الاتفاق على أن خديجة أوّل خلق الله إسلاماً[2]، فقال قومٌ: أوّل ذَكَر آمن عليّ. رُوي عن عليّ، عليه السلام، أنّه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذبٌ مفترٍ، صلّيتُ مع رسول الله، ﷺ، قبل الناس بسبع سنين[3].

وقال ابن عبّاس: أوّل مَنْ صَلّى عليّ[4].

وقال جابر بن عبد الله: بُعث النبيّ، ﷺ، يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء.

وقال زيد بن أرقم: أوّل من أسلم مع النبيّ، ﷺ، عليّ[5].

وقال عفيف الكِنْديّ: كنتُ امرأً تاجراً فقدِمتُ مكّة أيّام الحجّ فأتيتُ العبّاس، فبينا نحن عنده إذ خرج رجلٌ فقام تجاهَ الكعبة يصلّي، ثمّ خرجت[6] امرأة تصلّي معه، ثمّ خرج غلام فقام يصلّي معه. فقلتُ: يا عبّاس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله ابن أخي، زعم أنّ الله أرسله، وأنّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه، وهذه امرأته خديجة آمنتْ به، وهذا الغلام عليّ بن أبي طالب آمن به، وايمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدِّين إلاّ هؤلاء الثلاثة! قال عفيف: ليتني كنتُ رابعاً[7].

وقال محمّد بن المنذر[8]، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وأبو حازم المدنيّ،

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق ١٣٩، سيرة ابن هشام ٢٨١/١، تاريخ الطبري ٣٠٩/٢، ٣١٠، أنساب الأشراف ١١٢/١، نهاية الأرب ١٧٥/١٦ و ١٨٠، عيون الأثر ٩١/١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٧، عيون التواريخ ٤٥/١، البداية والنهاية ٢٤/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٤٢٨/١، تاريخ اليعقوبي ٢٣/٢، مروج الذهب ٢٨٣/٢، البدء والتاريخ ١٤٥/٤، تاريخ الخميس ٣٢٣/١، سبل الهدى والرشاد ٤٠٢/٢.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٧.

(٣) أخرج المغازلي في مناقب عليّ رضي الله عنه - ص ٢٦ رقم ١٧ من طريق أبي أيّوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنّه لم يصلّ معي أحد غيره».

(٤) أخرج الترمذيّ في مناقب عليّ بن أبي طالب (٣٧٣٦) عن ابن عباس قال: «أوّل من أسلم عليّ»، وهو في الأوائل لابن أبي عاصم ٤٧ رقم ٧٢، وتاريخ الطبري ٣١٠/٢.

(٥) مناقب أمير المؤمنين عليّ للمغازلي ٢٦ رقم ١٨، أنساب الأشراف ١١٢/١ رقم ٢١٦، تاريخ الطبري ٣١٠/٢، الأوائل لابن أبي عاصم ٤٦ رقم ٧١، المسند لأحمد ٣٦٤/٤، الطبقات الكبرى ٢١/٣، المعجم الكبير للطبراني ٤٠٦/١١.

(٦) في نسخة: «قامت».

(٧) الحديث في السير والمغازي ١٣٧ و ١٣٨ وآخره: «فليتني آمنت يومئذ وكنت أكون ثانياً». وهو في تاريخ الطبري ٣١١/٢ و ٣١٢.

(٨) في تاريخ الطبري ٣١٢/٢: «المنكدِر».

والكلبيّ: أوّل من أسلم عليّ. قال الكلبيّ: كان عمره تسع سنين[1].

وقيل: إحدى عشرة سنة[2].

وقال ابن إسحاق: أوّل من أسلم عليّ وعمره إحدى عشرة سنة[3].

وكان من نعمة الله عليه أنّ قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال يوماً رسول الله، ﷺ، لعمّه العبّاس: يا عمّ إنّ أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفّف عن عيال أبي طالب، فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا، فقال أبو طالب: اتركا لي عقيلاً واصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله، ﷺ، عليّاً، وأخذ العبّاس جعفراً، فلم يزل عليّ عند النبيّ، ﷺ، حتى أرسله الله فاتّبعه[4].

وكان النبيّ، ﷺ، إذا أراد الصلاة انطلق هو وعليّ إلى بعض الشعاب بمكّة فيصلّيان ويعودان، فعثر عليهما أبو طالب فقال: يا ابن أخي ما هذا الدين؟ قال: دين الله وملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله تعالى به إلى العباد، وأنت أحقّ مَنْ دعوتُهُ إلى الهدى وأحقّ مَنْ أجابني. قال: لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، ولكن والله لا تخلص قريش إليك بشيء تكرهه ما حييتُ. فلم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه.

قال: وقال أبو طالب لعليّ: ما هذا الدِّين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبه! آمنتُ بالله وبرسوله وصلّيتُ معه. فقال: أما إنّه لا يدعونا إلاّ إلى الخير فالزمْه[5].

* * *

وقيل: أوّل مَنْ أسلم أبو بكر، رضي الله عنه[6].

قال الشعبيّ: سألتُ ابن عبّاس عن أوّل من أسلم، فقال: أما سمعتَ قول حسّان ابن ثابت:

إذا تذكّرتَ شجواً من أخي ثقة ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فَعَلا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣١٢، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٨.

(٢) أنساب الأشراف ١/١١٣ رقم ٢١٩.

(٣) في سيرة ابن هشام ١/٢٨١، والسير والمغازي ١٣٧، والاستيعاب ٣/٢٧، وتاريخ الطبري ٢/٣١٢، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٨: «ابن عشر سنين».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣١٣.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣١٣، ٣١٤.

(٦) أنظر: صفة الصفوة ١/٢٣٧، ونهاية الأرب ١٦/١٨٠، وتاريخ الإسلام ١٢٧.

خَيـر البـرِيّـةِ أتقاهـا وأعـدَلَهـا بَعـد النبيّ وأوفاهـا بمـا حَمَـلا
الثّانيَ التّـاليَ المَحمـودَ مشهـدُهُ[1] وأوّلَ النّـاس منهم صَدّق الـرّسُلا[2]

وقال عمرو بن عَبَسة: أتيتُ رسول الله، ﷺ، بعُكاظ فقلتُ: يا رسول الله مَنْ تَبِعَكَ على هذا الأمر؟ قال: «تبعني عليه حُرّ وعبد، أبو بكر وبِلال». فأسلمتُ عند ذلك، فلقد رأيتُني رُبْعَ[3] الإسلام[4].

وكان أبو ذَرّ يقول: رأيتُني رُبع الإسلام، لم يُسلم قبلي إلّا النبيّ وأبو بكر وبلال[5].

وقال إبراهيم النّخعيّ: أبو بكر أوّل مَنْ أسلم[6].

* * *

وقيل: أوّل من أسلم زيد بن حارثة. قال الزُّهْريّ، وسليمان بن يَسار، وعِمران بن أبي أنَس، وعُرْوة بن الزُّبَير: أوّل مَنْ أسلم زيد بن حارثة[7]، وكان هو وعليّ يلزمان النبيّ، ﷺ، وكان، ﷺ، يخرج إلى الكعبة أوّلَ النهار ويصلّي صلاة الضحى، وكانت قريش لا تنكرها، وكان إذا صلّى غيرها قعد عليّ، وزيد بن حارثة يرصدانه.

وقال ابن إسحاق: أوّل ذكَر أسلم بعد النبيّ عليّ وزيد بن حارثة، ثمّ أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وكان مانعاً لقومه محبّاً فيهم، وكان أعلمهم بأنساب قريش وما كان فيها، وكان تاجراً يجتمع إليه قومه، فجعل يدعو مَنْ يثق به من قومه، فأسلم على يديه عثمان

---

(١) في نسخة «مشهدة».
(٢) الأبيات في ديوان حسّان ٢٩٩، ٣٠٠ باختلاف في الرواية. وفي تاريخ الطبري ٢/٣١٤.
(٣) في الطبعة الأوربية «رابع»، والمثبت عن الطبري ٢/٣١٥.
(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٨٣٢) باب إسلام عمرو بن عبسة، ولفظه: «عن عمرو بن عَبَسة قال: أتيت رسولَ الله ﷺ وهو بمكة مستخفياً، فقلت: من أنت؟ قال: «نبيّ» قلت: وما النبيّ؟ قال: «رسول الله» قلت: الله أرسلك؟ قال: «نعم»، قلت: بمَ أرسلك؟ قال: «بأن يُعبد الله وتُكسر الأوثان وتُوصَل الأرحام»، قلت: نِعم ما أُرسِلت به، فمن تبعك؟ قال: «حرّ وعبد»، يعني أبا بكر وبلالاً، فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا رابع أربعة، فأسلمت وقلت: أتّبعُك يا رسول الله، قال: «لا، ولكن إلحقْ بقومك، فإذا أُخبِرت بأنّي قد خرجت فاتّبعني...»، وأخرجه أحمد في مسنده ٤/١٢٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/٢١٥ - ٢١٧، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٠، ١٤١، وأنظر سير أعلام النبلاء ٢/٤٥٨.
(٥) أخرج حديثه: الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٤٧، ١٤٨ رقم ١٦١٧، والحاكم في المستدرك ٣/٣٤٢، والذهبي في تلخيصه ٣/٣٤٢، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٥، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٧٠، وانظر تاريخ الطبري ٢/٣١٥.
(٦) الطبري ٢/٣١٥.
(٧) الطبري ٢/٣١٦، سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، نهاية الأرب ١٦/١٨٣، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٣٧، عيون الأثر ١/٩٤.

ابن عفّان، والزّبير بن العَوّام، وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عُبيد الله، فجاء بهم إلى النبيّ، ﷺ، حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا. وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثمّ تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذِكْر الإسلام بمكّة وتحدّث به النّاس[١].

قال الواقدي: وأسلم أبو ذرّ، قالوا رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عَبَسَة السُّلَميّ رابعاً أو خامساً[٢].

وقيل: إنّ الزّبير أسلم رابعاً أو خامساً[٣]. وأسلم خالد بن سعيد بن العاص خامساً. وقال ابن إسحاق: أسلم هو وزوجته هُمَيْنة[٤] بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَياضة من خُزاعة بعد جماعة كثيرة.

ذِكْر أمر الله تعالى نبيّه ﷺ، بإظهار دعوته[٥]

ثمّ إن الله تعالى أمر النبيّ، ﷺ، بعد مبعثه بثلاث سنين أن يُصْدع بما يؤمر، وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يُظْهرها إلاّ لمن يثق به، فكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشِّعاب فاستخفَوْا، فبينما سعد بن أبي وقّاص، وعمّار، وابن مسعود، وخَبّاب، وسعيد[٦] بن زيد يصلّون في شِعب اطّلع عليهم نفر من المشركين، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شَريق، وغيرهما، فسبّوهم وعابوهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلَحْي[٧] جمل فشجّه، فكان أوّل دم أُريق في

---

(١) الخبر في: سيرة ابن هشام ١/٢٨٤، ٢٨٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٠، وتاريخ الطبري ٢/٣١٧، ونهاية الأرب ١٦/٧١٧، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٣٨، وعيون الأثر ١/٩٤، ٩٥.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣١٧.
(٣) الطبري ٢/٣١٨.
(٤) هكذا في الأصول وطبعة صادر ٢/٦٠، وفي سيرة ابن هشام ١/٢٩٢ وتاريخ الطبري ٢/٣١٨ «أمَيْنة». ويقال «هُمَيْثة» كما في السيرة.
(٥) السير والمغازي ١٤٥، سيرة ابن هشام ٢/٣، أنساب الأشراف ١/١١٦، الطبقات الكبرى ١/١٩٩، البدء والتاريخ ٤/١٤٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧، تاريخ الطبري ٢/٣١٨، سبل الهدى ٢/٤٣١، نهاية الأرب ١٦/١٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٣، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٢٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١١٣، عيون الأثر ١/١٥٢، عيون التواريخ ١/٥٢، البداية والنهاية ٣/٣٨، السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٥٥، تاريخ الخميس ١/٣٢٤.
(٦) في الطبعة الأوربية «سعد» وهو تحريف.
(٧) اللَّحْي: العَظْم الذي في الفخذ.

الإسلام في قول[1].

قال ابن عبّاس: لما نزلت: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[2] خرج رسول الله، ﷺ، فصعِدَ على الصَّفا فهتف: «يا صباحاه»! فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطّلب، يا بني عبد مناف»! فاجتمعوا إليه. فقال: «أرأيتُكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدِّقيَّ»؟ قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذِباً. قال: «فإنّي نذير لكم بين يديْ عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبّاً لك! أما جمعتنا إلاّ لهذا؟ ثمّ قام، فنزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾[3] السورة[4].

وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكَم: لما أنزل الله على رسوله: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾، اشتدّ ذلك عليه وضاق به ذَرْعاً، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عمّاته يعُدْنه، فقال: «ما اشتكيتُ شيئاً، ولكنّ الله أمرني أن أُنْذِرْ عشيرتي الأقربين». فقلن له: فادعُهُمْ ولا تدعُ أبا لهب فيهم فإنّه غير مجيبك. فدعاهم، ﷺ، فحضروا ومعهم نفر من بني المطّلب بن عبد مَناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمّك فتكلّم ودعِ الصُّباة[5]، واعلمْ أنّه ليس لقومك في العرب قاطبةً طاقة، وأنّ أحقّ من أخذك فحبسك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدّهم العرب، فما رأيتُ أحداً جاء على بني أبيه بشرّ ممّا جئتَهم به. فسكت رسول الله، ﷺ، ولم يتكلّم في ذلك المجلس.

ثمّ دعاهم ثانيةً وقال: «الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له»، ثمّ قال: «إنّ الرائد لا يَكْذب أهلَهُ، والله الذي لا إله إلاّ هو إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لَتموتُنّ كما تنامون، ولَتُبعثُنّ كما تستيقظون، ولتحاسَبُنّ بما تعملون، وإنّها الجنّة أبداً والنار أبداً».

فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك وأَقْبَلَنَا لنصيحتك وأشدّ تصديقنا لحديثك،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣، ٤، تاريخ الطبري ٢/٣١٨، أنساب الأشراف ١/١١٦ رقم ٢٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٧، ١٤٨.

(٢) سورة الشعراء - الآية ٢١٤.

(٣) أول سورة المسد.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٠٨) باب في قوله تعالى: ﴿**وأنذِرْ عشيرتك الأقربين**﴾، والطبري في تاريخه ٢/٣١٩، والسهيلي في الروض الأنف ٢/١٠٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/١٢٠ رقم ٢٣٨.

(٥) في أنساب الأشراف «الصلاة». والصُّباة: من صَبَأ، وهو ما كان المشركون يطلقونه على المسلمين، بمعنى أنهم خرجوا على دين آبائهم.

وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي أسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أُمرتَ به، فَوَالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنّ نفسي لا تطاوعني على فراق دِين عبد المطّلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيرُكم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنّه ما بقينا[1].

وقال عليّ بن أبي طالب: لما نزلتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني النبيّ، ﷺ، فقال: «يا عليّ إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضِقْتُ ذرعاً وعلمتُ أني متى أبادرْهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرائيل فقال: يا محمّد إلّا تفعلْ ما تُؤمر به يعذّبْك ربُّك. فاصنعْ لنا صاعاً من طعام، واجعلْ عليه رِجْل[2] شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، واجمعْ لي بني عبد المطّلب حتى أكلّمهم وأبلّغهم ما أُمرتُ به». ففعلتُ ما أمرني به، ثمّ دعوتُهم، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتُهُ لهم. فلمّا وضعتُهُ تناول رسول الله، ﷺ، حِزّة من اللحم فنتفها[3] بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: «خذوا باسم الله»، فأكل القومُ حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلّا مواضع أيديهم، وايمُ الله الذي نفس عليّ بيده، إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم! ثمّ قال: «اسقِ القوم»، فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وايم الله إنْ كان الرجل الواحد لَيشرب مثله! فلمّا أراد رسول الله، ﷺ، أن يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهَدَّ[4]، ما سحركم به صاحبكم. فتفرّق القوم ولم يكلّمهم، ﷺ، فقال: «الغد يا عليّ؛ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما سمعتَ من القول، فتفرّقوا قبل أن أكلّمهم، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ، ثمّ اجمعْهم إليّ».

ففعل مثل ما فعل بالأمس، فأكلوا، وسقيتُهم ذلك العُسّ، فشربوا حتى رووا جميعاً وشبعوا، ثمّ تكلّم رسولُ الله، ﷺ، فقال: «يا بني عبد المطّلب إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومَهُ بأفضل ممّا قد جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني

(١) الخبر في أنساب الأشراف ١/١١٨، ١١٩ رقم ٢٣٥.

(٢) في تاريخ الطبري «رَحْل» والمثبت يتفق مع السير والمغازي.

(٣) في النسخة (ب): «فشقها»، وهي كذلك في السير والمغازي.

(٤) في الطبعة الأوربية «لعلّ» وهو غلط. والتصحيح من الطبري وابن إسحاق.
ولهدّ: كلمة يُتَعَجّب بها. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٤/٢٤٢) واللهد: داء يصيب الناس في أرجلهم وأفخاذهم، وهو الضرب والصدمة الشديدة في الصدر، ولَهَدَه لهداً أي دفعه.

الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤآزرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم»؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلتُ، وإنّي لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[1].

وأُمر رسول الله، ﷺ، أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن يبادئ الناس بأمره ويدعوهم إلى الله، فكان يدعو في أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أُمر بالظهور للدعاء، ثمّ صدع بأمر الله وبادأ قومَهُ بالإسلام، فلم يبعدوا منه ولم يردّوا عليه إلّا بعض الردّ، حتى ذكر آلهتهم وعابها. فلمّا فعل ذلك أجمعوا على خلافه، إلّا مَنْ عصمه الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفُون. وحَدِبَ عليه عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله، ﷺ، على أمر الله مُظهراً لأمره لا يردّه شيء.

فلمّا رأت قريش أنّه، ﷺ، لا يُعتبهم من شيء يكرهونه، وأنّ أبا طالب قد قام دونه ولم يُسلِمْه لهم، مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبي طالب: عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، وأبو البَخْتَري بن هشام، والأسود بن المطّلب، والوليد بن المُغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجّاج، ومَنْ مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامَنا وضلّل آباءَنا، فإمّا أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً وردّهم ردّاً رفيقاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله، ﷺ، لما هو عليه.

ثمّ شريَ[2] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله، ﷺ، وتذامروا[3] فيه، فمشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إنّ لك سنّاً وشرفاً، وإنّا قد اشتهيناك أن تنهَى ابنَ أخيك فلم تفعل، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفّه عنّا أو ننازله وإيّاك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا، ثمّ انصرفوا عنه.

فعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم تطبْ نفسه بإسلام رسول الله، ﷺ، وخذلانه، وبعث إلى رسول الله، ﷺ، فأعلمه ما قالت قريش وقال له: أبقِ على

---

(١) الخبر في تفسير الطبري ١٩، ٧٤، ٧٥، وتاريخه ٢/٣١٩ ـ ٣٢١، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٥، ١٤٦.

(٢) في الطبعة الأوربية: سرى. (وشري الأمرُ: اشتدَّ واستطال).

(٣) في الطبعة الأوربية: وقد توامروا. (وتذامر القوم: تلاوموا؛ تحاضُوا على القتال).

نفسك وعليّ ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله، ﷺ، أنه قد بدا لعمه [بدوٌ] وأنّه خذله وقد ضعُف عن نصرته، فقال رسول الله، ﷺ: «يا عمّاه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهره الله أو أهلك فيه ما تركته». ثمّ بكى رسول الله، ﷺ، وقام. فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فأقبل عليه وقال: اذهب يا ابن أخي فقلْ ما أحببتَ، فَوَالله لا أُسْلِمك لشيء أبداً[1].

فلمّا علمتْ قريش أنّ أبا طالب لا يخذل رسولَ الله، ﷺ، وأنّه يجمع لعداوتهم مشوا بعُمارة بن الوليد فقالوا: يا أبا طالب هذا عُمارة بن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم، فخذْه فلك عقله ونصرته فاتّخِذْه ولداً، وأسلِمْ لنا ابن أخيك هذا الذي سفّه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك نقتله، فإنّما رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتُعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون أبداً! فقال المُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف: والله لقد أنصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك[2].

فاشتدّ الأمر عند ذلك، وتنابذ القوم، واشتدّت قريشٌ على مَنْ في القبائل من الصحابة الذين أسلموا، فوثبت كلّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسولَهُ بعمّه أبي طالب، وقام أبو طالب في بني هاشم فدعاهم إلى منع رسول الله، ﷺ، فأجابوا إلى ذلك واجتمعوا إليه إلاّ ما كان من أبي لهب[3].

فلمّا رأى أبو طالب من قومه ما سرّه أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله، ﷺ، فيهم. وقد مشتْ قريش إلى أبي طالب عند موته وقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا، فأنصِفْنا من ابن أخيك، فمرْه فليكفّ عن شتم آلهتنا ونَدعه وإلهَه. فبعث إليه أبو طالب، فلمّا دخل عليه قال له: هؤلاء سروات قومك يسألونك أن تكفّ عن شتم آلهتهم ويَدَعوك وإلهك. قال له رسول الله، ﷺ: «أي عمّ! أَوَ لا دعوهم إلى ما هو خير لهم منها، كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم»؟ فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطينّكها وعَشر أمثالها؟ قال: «تقولون لا إله إلاّ الله»، فنفروا وتفرّقوا وقالوا: سلْ غيرها. فقال: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها». قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابَى وقالوا: والله لنشتمنّك وإلهك الذي يأمرك بهذا! ﴿وَانْطَلَقَ المَلأ

(1) سيرة ابن هشام ٢/٤، ٥، تاريخ الطبري ٢/٣٢٢، ٣٢٣.
(2) سيرة ابن هشام ٢/٥، تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، ٣٢٧، السير والمغازي ١٥٢، الطبقات الكبرى ١/٢٠٢.
(3) سيرة ابن هشام ٢/٩، تاريخ الطبري ٢/٣٢٧، ٣٢٨، السير والمغازي ١٤٨.

مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[١]؛ وأقبل على عمّه فقال: قلْ كلمة أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيبكم بها العرب وتقول جَزِعَ من الموت لأعطيتُكما، ولكن على ملّة[٢] الأشياخ، فنزلت: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِ مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٣].

ذِكْر تعذيب المستضعَفين من المسلمين[٤]

وهم الذين سبقوا إلى الإسلام، ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوّة لهم يمنعون بها، فأمّا مَنْ كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفّار إليه، فلمّا رأوا امتناع مَنْ له عشيرة وثبتْ كلّ قبيلة على مَن فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكّة والنار ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدّة البلاء وقلبه مطمئنّ بالإيمان، ومنهم من يتصلّب في دينه ويعصمه الله منهم.

فمنهم: بِلال[٥] بن رَباحٍ الحبشيّ مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبْي الحبشة، وأمّه حمامة سبيّة أيضاً، وهو من مُوَلَّدي السَّراة، وكنيته أبو عبد الله، فصار بلال لأميّة بن خلَف الجُمَحيّ، فكان إذا حميت الشمسُ وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُلقى على صدره، ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات والعُزّى[٦]، فكان وَرَقة بن نوفل يمرّ به وهو يعذّب وهو يقول: أحد أحد. فيقول: أحد أحد والله يا بلال. ثمّ يقول لأميّة: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتّخذنّه حناناً[٧]. فرآه أبو بكر يُعذَّب، فقال لأميّة بن خَلَف الجُمَحي: ألا تتّقي الله في

---

(١) سورة صٓ ـ الأيتان ٥ و ٦.

(٢) في نسخة «مكة» وهو تحريف.

(٣) سورة القصص ـ الآية ٥٦.

(٤) السير والمغازي ١٥٤، سيرة ابن هشام ٢/٦٧.

(٥) المسند للإمام أحمد ٦/١٢ ـ ١٥، الطبقات لخليفة ١٩، ٢٩٨، تاريخ خليفة ٩٩، ١٤٩، التاريخ الكبير للبخاري ٢/١٠٦، التاريخ الصغير له ١/٥٤، الجرح والتعديل ٢/٣٩٥، مشاهير علماء الأمصار، رقم ٣٢٣، الأغاني ٣/١٢٠، ١٢١، حلية الأولياء ١/١٤٧ ـ ١٥١، الاستيعاب ٢/٢٦، تاريخ دمشق (تحقيق دهمان) ١٠/٣٥٣، أسد الغابة ١/٢٤٣، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٣٦، ١٣٧، تهذيب الكمال ١/١٦٧، دول الإسلام ١/١٦، تاريخ الإسلام ٢/٣١، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٧ رقم ٧٦، مجمع الزوائد ٩/٢٩٩ ـ ٣٠٠، العقد الثمين ٣/٣٧٨ ـ ٣٨٠، تهذيب التهذيب ١/٥٠٢، الإصابة ١/٢٧٣، خلاصة تذهيب الكمال ٥٣، كنز العمال ١٣/٣٠٥ ـ ٣٠٨، شذرات الذهب ١/٣١، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٣٠٤ ـ ٣١٨، سيرة ابن هشام ٢/٦٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٦٧.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/٦٧، حلية الأولياء ١/١٤٨، أسد الغابة ١/٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢ وفيه: لم يعش ورقة إلى ذلك الوقت، السير والمغازي ١٩٠.

هذا المسكين؟ فقال: أنت أفسدتَهُ فأبعدتَه. فقال: عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به. قال: قبلتُ. فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه[1]، فهاجر وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله، ﷺ.

* * *

ومنهم: عمّار[2] بن ياسر أبو اليقظان العَنْسيّ، وهو بطن من مُراد ـ وعَنْس هذا بالنون ـ، أسلم هو وأبوه وأمّه وأسلم قديماً ورسول الله، ﷺ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً، أسلم هو وصُهَيْب في يوم واحد، وكان ياسر حليفاً لبني مخزوم، فكانوا يُخْرجون عمّاراً وأباه وأمّه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذّبونهم بحرّ الرمضاء، فمرّ بهم النبيّ، ﷺ، فقال: «صبراً آلَ ياسر فإنّ موعدكم الجنّة»[3]. فمات ياسر في العذاب وأغلظت امرأته سُميّة[4] القول لأبي جهل، فطعنها في قُبُلها بحربة في يديه فماتت، وهي أوّل شهيد في الإسلام[5]، وشدّدوا العذاب على عمّار بالحرّ تارة، وبوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى، فقالوا: لا نتركك حتى تسبّ محمّداً وتقول في اللات والعُزّى خيراً، ففعل، فتركوه، فأتى النبيَّ، ﷺ، يبكي. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فقال: يا عمّار إن عادوا فعُدْ[6]، فأنزل الله تعالى: ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمَانِ﴾[7]؛ فشهد المشاهد كلّها مع رسول الله،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٧، ٦٨، سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢، السير والمغازي ١٩٠.

(٢) المسند للإمام أحمد ٤/٢٦٢، و ٣١٩، الطبقات الكبرى ٣/١٧٦، الطبقات لخليفة ٢١، ٧٥، ١٢٦، تاريخ خليفة ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٩ و١٨٩ و١٩١، التاريخ الكبير ٧/٢٥، التاريخ الصغير ١/٧٩، و ٨٤، ٨٥، المعارف ٢٥٦ ـ ٢٥٨، الجرح والتعديل ٦/٣٨٩، مشاهير علماء الأمصار، رقم ٢٦٦، حلية الأولياء ١/١٣٩ ـ ١٤٣، الاستيعاب ٨/٢٢٥، تاريخ بغداد ١/١٥٠ ـ ١٥٣، أسد الغابة ٤/١٢٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٧، ٣٨، تهذيب الكمال ٣/١٠٠٠، دول الإسلام ١/٢٨، العبر ١/٢٥ و ٣٨ و ٤٠، سير أعلام النبلاء ١/٤٠٦ رقم ٨٤، مجمع الزوائد ٩/٢٩١ ـ ٢٩٨، العقد الثمين ٦/٢٧٩ ـ ٢٨١، تهذيب التهذيب ٧/٤٠٨، الإصابة ٧/٦٤، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٧٩، كنز العمال ١٣/٥٢٦، شذرات الذهب ١/٤٥.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٢٩٣، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/٣٨٨، سير أعلام النبلاء ١/٤٠٩، ٤١٠، السير والمغازي ١٩٣.

(٤) في الأصل «سميا»، وفي النسخة (ت) «شمياء».

(٥) أنظر طبقات ابن سعد ٨/٢٦٤ ـ ٢٦٥، والاستيعاب لابن عبد البرّ ٤/٣٣٠، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/٤٨١، ونهاية الأرب ١٦/٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١/٤٠٩، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢١٨، والإصابة لابن حجر ٤/٣٣٤ رقم ٥٨٥. وقال الإمام أحمد: «أول شهيد كان في أول الإسلام استُشهد أمّ عمّار سُمَيَّة، طعنها أبو جهل بحربةٍ في قُبُلها» وهذا مرسَل.

(٦) الطبقات الكبرى ٣/١٧٨، حلية الأولياء ١/١٤٠، المستدرك ٢/٣٥٧، سير أعلام النبلاء ١/٤١١.

(٧) سورة النحل ـ الآية ١٠٦.

وقُتل بصِفّين مع عليّ وقد[1] جاوز التسعين، قيل بثلاث، وقيل بأربع سنين[2].

ومنهم: خَبّاب[3] بن الأرتّ، كان أبوه سواديّاً من كَسْكَر، فسباه قوم من ربيعة وحملوه إلى مكّة فباعوه من سِباع بن عبد العُزّى الخُزاعي حليف بني زُهْرة، وسباع هو الذي بارزه حمزة يوم أُحُد، وخبّاب تميميّ، وكان إسلامه قديماً، قيل سادس ستّة قبل دخول رسول الله، ﷺ، دار الأرقم، فأخذه الكفّار وعذّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعرّونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثمّ بالرضف، وهي الحجارة المُحَمّاة بالنار، ولووا رأسه، فلم يُجِبْهم إلى شيء مما أرادوا منه، وهاجر وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله، ﷺ، ونزل الكوفة، ومات سنة ستّ[4] وثلاثين.

ومنهم: صُهَيْب[5] بن سِنان الروميّ، ولم يكن روميّاً، وإنّما نُسب إليهم لأنّهم سبوه وباعوه، وقيل: لأنّه كان أحمر اللون، وهو من النَّمِر بن قاسط، كنّاه رسول الله، ﷺ، أبا يَحيَى قبل أن يولد له، وكان ممّنْ يُقَذَّب في الله، فعُذّب عذاباً شديداً. ولما أراد الهجرة منعته قريش، فافتدى نفسَهُ منهم بماله أجمع، وجعله عمر بن الخطّاب عند موته يصلّي بالناس إلى أن يستخلف بعض أهل الشورى، وتوفّي بالمدينة في شوّال من سنة ثمان وثلاثين، وعمره سبعون سنة[6].

وأمّا عامر[7] بن فُهَيرة فهو مولى الطُّفَيْل بن عبد الله الأزديّ، وكان الطفيل أخا عائشة

---

(١) في الطبعة الأوربية «وهو».

(٢) أنظر سير أعلام النبلاء ١/٤٢٦.

(٣) المسند للإمام أحمد ٥/١٠٨ و٦/٣٩٥، الطبقات الكبرى ٣/١٦٤، الطبقات لخليفة ١٧، ١٢٦، تاريخ خليفة ١٩٢، التاريخ الكبير ٣/٢١٥، المعارف ٣١٦، ٣١٧، المعرفة والتاريخ ٣/١٦٧، الجرح والتعديل ٣/٣٩٥، المعجم الكبير للطبراني ٤/٦١، الاستيعاب ٢/٤٣٧، أسد الغابة ٢/١١٤، تهذيب الكمال ٣٧٣، تاريخ الإسلام ٢/١٧٥، العبر ١/٤٣، سير أعلام النبلاء ٢/٣٢٣، مجمع الزوائد ٩/٢٩٨، تهذيب التهذيب ٣/١٣٣، ١٣٤، الإصابة ٣/٧٦، خلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، كنز العمال ١٣/٣٧٥، شذرات الذهب ١/٤٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨.

(٤) في النسخة (ب): «سبع».

(٥) المسند للإمام أحمد ٤/٣٣٢ و٦/١٥، الطبقات الكبرى ٣/٢٢٦، الطبقات لخليفة ١٩، ٦٢، التاريخ الكبير ٤/٣١٥، الجرح والتعديل ٤/٤٤٤، المعجم الكبير للطبراني ٨/٣٣ ـ ٥٣، المستدرك ٣/٣٩٧ ـ ٤٠٢، الاستيعاب ٥/١٤٧، أسد الغابة ٣/٣٦، تهذيب الكمال ٦١٣، تاريخ الإسلام ٢/١٨٥، ١٨٦، العبر ١/٤٤، سير أعلام النبلاء ٢/١٧ رقم ٤، مجمع الزوائد ٩/٣٠٥، تهذيب التهذيب ٤/٤٣٨، ٤٣٩، الإصابة ٥/١٦٠، خلاصة تذهيب التهذيب ١٧٥، كنز العمال ١٣/٤٣٧، شذرات الذهب ١/٤٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/٢٦.

(٧) أنساب الأشراف ١/١٥٦ و١٥٨ و١٨٥، الطبقات الكبرى ٣/١٦٥، سيرة ابن هشام ٢/٦٨.

لأمّها أمّ رومان، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله، ﷺ، دار الأرقم[1]، وكان من المستضعَفين يعذَّب في الله، فلم يرجع عن دينه، واشتراه أبو بكر وأعتقه، فكان يرعى غنماً له، وكان يروح بغنم أبي بكر إلى النبي، ﷺ، وإلى أبي بكر لما كانا في الغار، وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما، وشهد بدراً وأُحُداً، واستشهد يوم بئر مَعُونة وله أربعون سنة. ولما طُعن قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة! ولم توجد جثّته لتُدفن مع القتلى، فقيل: إنّ الملائكة دفنته[2].

ومنهم: أبو فُكَيْهة[3]، واسمه أفلح، وقيل يسار، وكان عبداً لصفوان بن أميّة بن خَلَف الجُمَحيّ، أسلم مع بلال، فأخذه أميّة بن خَلَف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجُرّ ثمّ ألقاه في الرمضاء، ومرّ به جُعَل[4] فقال له أميّة: أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي وربّك وربّ هذا، فخنقه خنقاً شديداً، ومعه أخوه أُبَيّ بن خَلَف يقول: زِدْهُ عذاباً حتى يأتي محمّد فيخلّصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنّوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أبو بكر فاشتراه وأعتقه[5].

وقيل: إنّ بني عبد الدار كانوا يعذّبونه، وإنّما كان مولى لهم، وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه، وهاجر ومات قبل بدر[6].

ومنهم: لُبَيْنَة[7] جارية بني مؤمّل بن حبيب بن عديّ بن كعب، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطّاب، وكان عمر يعذّبها حتى تُفتن ثمّ يَدَعها، ويقول: إنّي لم أدعك إلاّ سآمةً، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تُسلم، فاشتراها أبو بكر فأعتقها[8].

ومنهم: زِنِّيرة[9]، وكانت لبني عديّ، وكان عمر يعذّبها، وقيل: كانت لبني مخزوم، وكان أبو جهل يعذّبها حتى عميت، فقال لها: إنّ اللات والعُزّى فعلا بك. فقالت: وما

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٣، ١٩٤ رقم ٥١٠، الطبقات الكبرى ٣/١٦٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/١٦٤، ١٦٥، أنساب الأشراف ١/١٩٤ رقم ٥١١ و٥١٢ و٥١٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٤ و١٩٥ رقم ٥١٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨.

(٤) الجُعل: الخنفسة.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٤، ١٩٥ رقم ٥١٤.

(٦) أنساب الأشراف ١/١٩٥ رقم ٥١٥ و٥١٦.

(٧) في النسخة (ب): «أمينة»، وفي طبعة صادر ٢/٦٩ «لبيبة»، والتصحيح عن أنساب الأشراف ١/١٩٥، سيرة ابن هشام ٢/٦٨.

(٨) أنساب الأشراف، ١٩٥ رقم ٥١٧.

(٩) أنساب الأشراف ١/١٩٥ و١٩٦، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢١٨.

يدري اللات والعُزّى مَنْ يعبدهما؟ ولكنّ هذا يمر من السماء وربّي قادر على ردّ بصري، فأصبحت من الغد وقد ردّ الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمّد، فاشتراها أبو بكر فأعتقها[1].

(زِنّيرة: بكسر الزاي، وتشديد النون، وتسكين الياء المثنّاة من تحتها، وفتح الراء).

ومنهم: النَّهْدِيّة[2]، مولاة لبني نَهْد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت، وكانت تعذّبها وتقول: والله لا أقلعتُ عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمّد، فابتاعها أبو بكر فأعتقها[3].

ومنهم: أمّ عُبَيْس[4]، بالباء الموحّدة، وقيل عُنَيْس، بالنون، وهي أَمَة لبني زُهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذّبها، فابتاعها أبو بكر فأعتقها[5].

وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له: أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك! ويقبّح رأيه وفِعْلَه ويسفّه حلمه ويضع شَرَفه، وإن كان تاجراً يقول: ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذَّب[6].

ذكر المستهزئين ومن كان أشدّ الأذى للنبيّ، ﷺ[7]

وهم جماعة من قريش، عمّه أبو لَهَب عبد العُزّى بن عبد المطّلب، كان شديداً عليه وعلى المسلمين، عظيم التكذيب له، دائم الأذى، فكان يطرح العَذِرَة والنَّتن[8] على باب النبيّ، ﷺ، وكان جاره، فكان رسول الله، ﷺ، يقول: «أيّ جِوارٍ هذا يا بني عبد المطّلب»[9]!.

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥١٩، دلائل النُّبُوّة للبيهقي ٢/٥٧، نهاية الأرب ١٦/٢٣٠، تاريخ الإسلام ٢١٨، السير والمغازي ١٩١.

(٢) أنساب الأشراف ١/١٩٦، سيرة ابن هشام ٢/٦٨، السير والمغازي ١٩١ وفيه تحرّف اسمها إلى «الهنديّة».

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥١٩، سيرة ابن هشام ٢/٩٨، السير والمغازي ١٩١.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٩٦.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم٥٢٢.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٦٨، ٦٩.

(٧) المحبّر لابن حبيب ١٥٧ و١٥٨ - ١٦٠، والمنمّق له ٣١٠، ٣١١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤، أنساب الأشراف ١/١٣٠ وما بعدها، السير والمغازي ١٩٧، سيرة ابن هشام ٢/١٠٢ وما بعدها، نهاية الأرب ١٦/٢١٤.

(٨) في النسخة (ب): «التبن».

(٩) أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٥.

فرآه يوماً حمزة فأخذ العَذِرة وطرحَها على رأس أبي لَهَب[1]، فجعل ينفضها[2] عن رأسه ويقول: صاحبي أحمق! وأقصر عمّا كان يفعله، لكنّه يضع من يفعل ذلك[3].

ومات أبو لَهَب[4] بمكّة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر، بمرض يُعرف بالعَدَسَة[5].

ومنهم: الأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة، وهو ابن خال النبيّ، ﷺ، وكان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون مُلْك كسرى.

وكان يقول للنبيّ، ﷺ: أما كُلّمتَ اليوم من السماء يا محمّد! وما أشبه ذلك. فخرج من أهله فأصابه السَّمومُ، فاسْوَدّ وجهه، فلمّا عاد إليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيّراً حتى مات عطشاً[6].

وقيل: إنّ جبرائيل أومأ إلى السماء فأصابته الأكلة، فامتلأ قيحاً فمات[7].

ومنهم: الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم السَّهْميّ، كان أحد المستهزئين الذين يُؤذون رسول الله، ﷺ، وهو ابن الغَيْطلة، وهي أمّه، وكان يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني. وكان يقول: قد غرّ محمّدٌ أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يُهلكنا إلّا الدهر، وفيه نزلت: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**﴾[8]؛ وأكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات.

وقيل: أخذته الذبحة.

وقيل: امتلأ رأسه قيحاً فمات[9].

ومنهم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان الوليد يكنّى أبا عبد شمس، وهو العِدل، لأنّه كان عِدل قريش كلّها، لأنّ قريشاً كانت تكسو البيت جميعها،

---

(١) في الطبعة الأوربية «أبي جهل» وهو وهْم.
(٢) في الطبعة الأوربية «ينفضه».
(٣) أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٤.
(٤) في الطبعة الأوربية «أبو جهل».
(٥) في النسخة (ب): «بالعذيبة». والخبر في أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٧.
(٦) أنساب الأشراف ١/١٣١، ١٣٢، رقم ٢٦٨.
(٧) أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٦٩.
(٨) سورة الجاثية ـ الآية ٢٣.
(٩) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٧١.

وكان الوليد يكسوه وحده، وهو الذي جمع قريشاً وقال: إنّ الناس يأتونكم أيّام الحجّ فيسألونكم عن محمّد فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: ساحرٌ، ويقول هذا: كاهنٌ، ويقول هذا: شاعرٌ، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر، لأنّه يفرّق بين المرء وأخيه وزوجته[1].

وقال الوليد[2]: لئن سبّ محمّدٌ آلهتنا سببنا إلَهَهُ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله فَيَسُبُّوا الله عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين[4] سنة، ودُفن بالحَجون، وكان مرّ برجل من خُزاعة يريش نبلاً له، فوطىء على سهم منها فخدشه، ثمّ أومأ جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه، فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا دِيَته من خُزاعة، فأعطت خُزاعة ديته[5].

ومنهم: أُمَيّة وأُبَيّ ابنا خَلَف، وكانا على شرّ ما عليه أحد من أذى رسول الله، ﷺ، وتكذيبه. جاء أُبَيّ إليه، ﷺ، بعظم فخذ[6]، ففتّه في يده وقال: زعمتَ أنّ ربّك يُحيي هذا العظم، فنزلت: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[7].

وصنع أُبَيّ[8] طعاماً ودعا إليه رسولَ الله، ﷺ، فقال: لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلّا الله، ففعل، فقام معه. فقال له أُميّة بن خَلَف: أقلتَ كذا وكذا؟ فقال: إنّما قلت ذلك لطعامنا، فنزلت: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[9]. وقُتل أُميّة يوم بدر كافراً، قتله خُبيب وبلال، وقيل: قتله رِفاعة بن رافع الأنصاري[10]. وأمّا أخوه أُبَيّ فقتله رسول الله، ﷺ، يوم أُحُد، رماه بحربة فقتله[11].

ومنهم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وكان ممّن يؤذي رسول الله، ﷺ ويعين أبا

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٣٣ رقم ٢٧٣.
(٢) في طبعة صادر ٢/٧١ «أبو جهل» وهو وهم، والتصويب من أنساب الأشراف، والسياق.
(٣) سورة الأنعام ـ الآية ١٠٨.
(٤) في الأصل «سبعين»، والمثبت يتفق مع أنساب الأشراف.
(٥) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٤ رقم ٢٧٧.
(٦) في أنساب الأشراف: «نخر».
(٧) سورة يّس ـ الآية ٧٨ والخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٧ رقم ٢٨١.
(٨) في طبعة صادر ٢/٧٢ «عقبة بن أبي معيط» وهو وهم، والتصويب من أنساب الأشراف، ومن السياق.
(٩) سورة الفرقان ـ الآية ٢٧.
(١٠) أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٢ و ٢٨٣.
(١١) أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٤.

جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر[1].

ومنهم: العاص بن وائل السّهْميّ، والد عمرو بن العاص، وكان من المستهزئين، وهو القائل لما مات القاسم[2] ابن النبيّ، ﷺ: إنّ محمّداً أبتر لا يعيش له ولد ذَكَر، فأنزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[3]. فركب حماراً له فلمّا كان بِشعْبٍ من شعاب مكّة ربض به حماره، فلُدغ في رِجْله، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير، فمات منها بعد هجرة النبيّ، ﷺ، ثاني شهر دخل المدينة وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة[4].

ومنهم: النَّضر بن الحارث بن عَلْقَمة بن كَلَدة بن عبد مَناف بن عبد الدار، يكنّى أبا قائد، وكان أشدّ قريش في تكذيب النبيّ، ﷺ، والأذى له ولأصحابه. وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى، وسمع بذكر النبيّ، ﷺ، وقُرْب مبعثه، فقال: إن جاءنا نذير لنكوننّ أهدى من إحدى الأمم، فنزلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[5]؛ الآية. وكان يقول: إنّما يأتيكم محمّد بأساطير الأوّلين، فنزل فيه عدّة آيات. أسره المقداد يوم بدر وأمر رسولُ الله، ﷺ، بضرب عنقه، فقتله عليّ بن أبي طالب صبراً بالأُثَيْل[6].

ومنهم أبو جهل بن هشام المخزومي، كان أشدّ الناس عداوةً للنبيّ، ﷺ، وأكثرهم أذىً له ولأصحابه، واسمه عمرو، وكنيته أبو الحكم، وأمّا أبو جهل فالمسلمون كنّوه به، وهو الذي قتل سُميّة أمّ عمّار بن ياسر، وأفعاله مشهورة، وقُتل ببدر، قتله ابنا عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود[7].

ومنهم: نُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجّاج السَّهْمِيّان، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله، ﷺ، والطعن عليه، وكانا يلقيانه فيقولان له: أما وجد الله مَنْ يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا مَنْ هو أسنّ منك وأيسر. فقُتل مُنَبّه، قتله عليّ بن أبي طالب ببدر، وقُتل

---

(١) ويقال: قتله الحُباب بن المنذر. (أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٥).

(٢) في الأصل «عبد الله»، وفي الطبعة الأوربية «إبراهيم»، وفي أنساب الأشراف: «عبد الله».

(٣) سورة الكوثر ـ الآية ٣.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٣٨، ١٣٩ رقم ٢٨٦.

(٥) سورة فاطر ـ الآية ٤٢.

(٦) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٩ ـ ١٤١ رقم ٢٨٩ و٢٩٢، وفي معجم البلدان ١/٩٤.
والأُثَيْل: تصغير الأَثْل. موضع قرب المدينة.

(٧) أنساب الأشراف ١/١٣٠ رقم ٢٦٢.

أيضاً العاص بن منبّه بن الحجّاج، قتله أيضاً عليّ ببدر، وهو صاحب ذي الفقار، وقيل منبّه بن الحجّاج صاحبه، وقيل نُبَيْه[1].

(نُبَيْه بضمّ النون، وفتح الباء الموحّدة).

ومنهم: زُهَير بن أبي أُمَيّة أخو أمّ سلمة لأبيها، وأمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، وكان ممّن يُظْهر تكذيب رسول الله، ﷺ، ويردّ ما جاء به، ويطعن عليه، إلاّ أنّه ممّن أعان على نقض الصحيفة. واختُلف في موته فقيل: سار إلى بدر فمرض فمات.

وقيل: أُسر ببدر فأطلقه رسول الله، ﷺ، فلمّا عاد مات بمكة.

وقيل: حضر وقعة أُحُد، فأصابه سهم فمات منه.

وقيل: سار إلى اليمن بعد الفتح فمات هناك كافراً[2].

ومنهم: عُقْبَة بن أبي مُعَيط، واسم أبي مُعَيط أبان بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس، ويكنّى أبا الوليد، وكان من أشدّ الناس أذىً لرسول الله، ﷺ، وعداوة له وللمسلمين، عمد إلى مِكتل فجعل فيه عَذِرة وجعله على باب رسول الله، ﷺ، فبَصُر به طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن عبد مَناف بن قُصَيّ، وأمّه أروى بنت عبد المطّلب، فأخذ المِكْتَل منه وضرب به رأسه، وأخذ بأُذُنَيه، فشكاه عُقْبة إلى أمّه فقال: قد صار ابنك ينصر محمّداً. فقالت: ومَنْ أولى به منّا؟ أموالنا وأنفسنا دون محمّد. وأُسر عقبة ببدر فقُتل صبراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري، فلمّا أراد قتله قال: يا محمّد من للصبية؟ قال: النار. قُتل بالصفراء، وقيل بعِرْق الظَّبْية، وصُلب، وهو أوّل مصلوب في الإسلام[3].

ومنهم: الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، وكان من المستهزئين، ويكنّى أبا زَمَعة، وكان وأصحابه يتغامزون[4] بالنبيّ، ﷺ، وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومَنْ يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ويصفرون به ويصفّقون، فدعا عليه رسول الله، ﷺ، أن يُعمى ويُثكل ولده، فجلس في ظلّ شجرة،

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٤٤، ١٤٥ رقم ٣٠٣.

(٢) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٤٥ رقم ٣٠٤.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٤٧، ١٤٨ رقم ٣٠٩ و٣١٠، وأنظر: المحبّر لابن حبيب في فصل «المؤذون من قريش» و«زنادقة قريش» و«المصلّبين الأشراف» ١٥٧ و١٦١ و٤٧٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٦.

(٤) في الأصل «يخامرون».

فجعل جبرائيل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها وبشوكها حتى عمي.

وقيل: أومأ إلى عينيه فعمي، فشغله عن رسول الله، ﷺ، وقُتل ابنه معه ببدر كافراً، قتله أبو دُجانة، وقُتل ابن ابنه عُتَيْب، قتله حمزة وعليّ، اشتركا في قتله، وقُتل ابن ابنه الحارث بن زَمَعَة بن الأسود، قتله عليّ.

وقيل: هو الحارث بن الأسود، والأوّل أصحّ. وهو القائل:

أتبكي أن يضلّ بعيرٌ ... ويَمنعُها من النّوم السُّهودُ[1]

ومات والناس يتجهّزون إلى أُحُد، وهو يحرِّض الكفّار وهو مريض.

ومنهم: طُعَيْمة بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف، يكنّى أبا الريّان، وكان ممّن يؤذي رسول الله، ﷺ، ويشتمه ويسمّعه ويكذّبه، وأُسر ببدر، وقُتل كافراً صبراً، قتله حمزة[2].

ومنهم: مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غُبشان من المستهزئين، وكان سفيهاً، فدعا عليه رسول الله، ﷺ، فأشار جبرائيل إلى رأسه، فامتلأ قيحاً فمات[3].

ومنهم: رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب، كان شديد العداوة، لقي النبيّ، ﷺ، فقال: يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولستَ[4] بكذّاب[5]، فإنْ صرعتَني علمتُ أنّك صادق، ولم يكن يصرعه أحد، فصرعه النبيّ، ﷺ، ثلاث مرّات، ودعاه رسول الله، ﷺ، إلى الإسلام، فقال: لا أُسلم حتى تدعو هذه الشجرة. فقال لها رسول الله، ﷺ: أقبلي، فأقبلت تخدّ الأرض. فقال رُكانة: ما رأيتُ سحراً أعظم من هذا، مُرْها فلْترجع، فأمرها فعادت. فقال: هذا سحر عظيم[6].

هؤلاء أشدّ عداوة لرسول الله، ﷺ، ومَنْ عداهم من رؤساء قريش كانوا أقلّ عداوة من هؤلاء، كعُتبة وشَيْبة وغيرهما، وكان جماعة من قريش من أشدّ الناس عليه فأسلموا، تركنا ذِكرهم لذلك. منهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعبد الله بن أبي

(١) أنظر البيت مع أبيات أخرى في أنساب الأشراف ١٤٩/١.
(٢) أنساب الأشراف ١٥٣/١، ١٥٤ رقم ٣٣٠.
(٣) أنساب الأشراف ١٥٤/١ رقم ٣٣٣.
(٤) في الطبعة الأوربية «ولكن».
(٥) في النسخة (ب): «بكتاب».
(٦) أنساب الأشراف ١٥٥/١ رقم ٣٣٧ و٣٣٨.

أميّة المخزوميّ أخو أم سلمة لأبيها، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله، ﷺ، وأبو سُفْيان بن حرب. والحَكَم بن أبي العاص، والد مروان، وغيرهم، أسلموا يوم الفتح.

ذِكْر الهجرة إلى أرض الحبشة[1]

ولما رأى رسول الله، ﷺ، ما يصيب أصحابَه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أوّل هجرة في الإسلام، فخرج عثمان بن عفّان وزوجته رُقيّة ابنة النبيّ، ﷺ، معه، وأبو حُذَيْفة بن عُتْبة بن ربيعة، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيْل، والزُّبَير بن العوّام، وغيرهم تَمام عشرة رجال.

وقيل: أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النُّبُوَّة، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان وشهر رمضان.

وقدِموا في شوّال سنة خمس من النُّبوةِ، وكان سبب قدومهم إلى النبيّ، ﷺ، [أنّه] لما رأى مباعدةَ قومه له شُقّ عليه، وتمنّى أن يأتيه الله بشيء يقاربهم به، وحدّث نفسه بذلك، فأنزل الله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[2]؛ فلمّا وصل إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[3]؛ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدّث به نفسه: تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى. فلمّا سمعت ذلك قريش سرّهم والمسلمون مصدّقون بذلك لرسول الله، ﷺ، لا يتّهمونه ولا يظنّون به سهواً ولا خطأً. فلمّا انتهى إلى سجدة سجد معه المسلمون والمشركون إلّا الوليد بن المُغيرة، فإنّه لم يُطق السجود لِكبْره، فأخذ كفّاً من البطحاء فسجد عليها. ثمّ تفرّق الناس. وبلغ الخبر مَنْ بالحبشة من المسلمين أنّ قريشاً أسلمت، فعاد منهم قوم وتخلّف قوم، وأتى جبرائيل لرسول الله، ﷺ، فأخبره بما قرأ، فحزن رسول الله، ﷺ، وخاف، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٩، السير والمغازي ١٧٤، الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٣، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٩، تاريخ الطبري ٢/ ٣٢٨، البدء والتاريخ ٤/ ١٤٩، أنساب الأشراف ١/ ١٩٨، نهاية الأرب ١٦/ ٢٣٢، المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٥، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٨٣، عيون الأثر ١/ ١١٥، عيون التواريخ ١/ ٦٩، البداية والنهاية ٣/ ٦٦، السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣، تاريخ الخميس ١/ ٣٦٠، سبل الهدى ٢/ ٤٨٥.

(٢) أول سورة النجم.

(٣) سورة النجم ـ الآيتان ١٩ و ٢٠.

قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1]؛ فذهب عنه الحزنُ والخوف[2].

واشتدّت قريش على المسلمين، فلمّا قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكّة بلغهم أنّ إسلام أهل مكّة باطلٌ، فلم يدخل أحد منهم إلاّ بجوارٍ أو مُستخفياً، فدخل عثمان في جوار أبي أُحَيحة سعيد بن العاص بن أميّة، فأَمِن بذلك، ودخل أبو حُذَيْفة بن عُتبة بجوار أبيه، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المُغيرة، ثمّ قال: أكون في ذمّة مشركٍ! جوار الله أعزّ، فردّ عليه جواره، وكان لَبيد بن ربيعة ينشد قريشاً قوله:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطِلُ[3]

---

(١) سورة الحج - الآية ٥٢.

(٢) قال الإمام الجصّاص في «الجامع لأحكام القرآن» ٢٤٦/٣ سورة الحج: قد اختُلف في معنى «ألقى الشيطان» فقال قائلون: لما تلا النبيّ ﷺ هذه السورة، وذكر فيها الأصنام، علم الكفّار أنّه يذكرها بالذمّ والعيب، فقال قائل منهم حين بلغ النبيّ ﷺ إلى قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾: تلك الغرانيق العُلا. وذلك بحضرة الجمع الكثير من قريش في المسجد الحرام. فقال سائر الكفّار الذين كانوا بالبُعْد منه: إنّ محمّداً قد مدح آلهتنا، وظنّوا أنّ ذلك كان في تلاوته، فأبطل الله ذلك من قولهم، وبيّن أن النبيّ ﷺ لم يتْلُه، وإنّما تلاه بعض المشركين، وسمّى الذي ألقى ذلك في حال تلاوة النبيّ ﷺ شيطاناً، لأنه كان من شياطين الإنس، كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ والشيطان اسم لكل متمرّد عاتٍ من الجنّ والإنس. وقيل: إنه جائز أن يكون شيطاناً من شياطين الجنّ قال ذلك عند تلاوة النبيّ ﷺ، ومثل ذلك جائز في أزمان الأنبياء عليهم السلام، كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ، إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ إنّما قال ذلك إبليس حين تصوّر في صورة سُراقة بن مالك لقريش وهم يريدون الخروج إلى بدر، وكما تصوّر في صورة الشيخ النجديّ، حين تشاورت قريش في دار الندوة، في أمر النبيّ ﷺ، وكان مثل ذلك جائزاً في زمن النبيّ ﷺ لضربٍ من التدبير، فجائز أن يكون الذي قال ذلك شيطاناً، فظنّ القوم أنّ النبيّ ﷺ قاله.

وقال الحافظ البيهقي في (دلائل النبوّة ٦٢/٢): هذه القِصّة غير ثابتة من جهة النقل. وبيّن جَرْح رُواتها وطعْن حَمَلَة العلم فيهم. وفي (البحر) أنّ هذه القصّة سُئل عنها محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» فقال: هذا من وضع الزنادقة وقال أبو منصور الماتُريديّ: الصواب أنّ قوله: «تلك الغرانيق» إلخ. من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزناديق، والرسالة بريئة من هذه الرواية.

وقال القاضي عياض في (الشفاء ٢٨/٢): يكفيك أنّ هذا الحديث لم يخرجه أحدٌ من أهل الصّحة، ولا رواه ثقة بسَنَدٍ سليم متّصل، مع ضعف نَقَلَته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته.

وقد فصّل القاضي عياض عدم صحّة هذه الرواية من عدّة وجوه يَحسُن مراجعتها في كتابه (الشفاء ١١٦/٢ - ١٢٣) وانظر: تفسير القرطبي ٨٢/١٢، ونهاية الأرب للنويري ٢٣٥/١٦ - ٢٤١، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) للذهبي ١٨٦.

(٣) راجع البيت في ديوان لبيد ٢٥٤، والأغاني ٣٧٥/١٥، وحلية الأولياء، ٢٦٩/٧، و٣٠٩/٨ ومعجم الشيوخ لابن جُميع الصيداوي (بتحقيقنا) ٢٩٤، والشعر والشعراء ١٩٩/١، والمعمَّرين للسجستاني ٦٢، وشرح =

فقال عثمان بن مَظْعون: صدقتَ، فلمّا قال:

وكــلُّ نَــعــيــمٍ لا مَــحــالــةَ زائــلُ

قال: كذبتَ! نعيم الجنّة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ولا كان السفه من شأنكم. فأخبروه خبره وخبر ذمّته[1]، فقام بعض بني المغيرة فلطم عين عثمان، فضحك الوليد شماتةً به حيث ردّ جواره، وقال لعثمان: ما كان أغناك عن هذا! فقال: [إنَّ] عيني الأخرى لمحتاجة (إلى مثل ما نالت هذه)[2]. فقال له: هل لك أن تعود إلى جواري؟ قال: لا أعود إلى جِوارٍ غير الله. فقام سعد بن أبي وقّاص إلى الذي لَطَم عين عثمان فكسر أنفه، فكان أوّل دم أُريق في الإسلام في قولٍ[3].

وأقام المسلمون بمكّة يؤذَون، فلمّا رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة ثانياً، فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة، فكمل بها تمام اثنين وثمانين رجلاً، والنبيّ، ﷺ، مقيمٌ بمكّة يدعو إلى الله سرّاً وجهراً، فلمّا رأت قريشٌ أنّه لا سبيل لها إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وأنّه شاعر، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا أن يسمع قوله.

وكان أشدّ ما بغوا منه ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: حضرتْ قريشٌ يوماً بالحِجر فذكروا النبيّ، ﷺ، وما نال منهم وصبرهم عليه، فبينما هم كذلك إذ طلع النبيّ، ﷺ، ومشى حتى استلم الركن، ثمّ مرّ بهم طائفاً، فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجهه، ثمّ مَضَى فلمّا مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها، ثمّ الثالثة، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ والذي نفس محمّد بيده لقد جئتكم بالذبح». قال: فكأنّما على رؤوسهم الطير واقعٌ، حتّى إنّ أشدّهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد. وانصرف رسول الله، ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم تكرهون تركتموه؛ فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله، ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيقول: أنا الذي أقول ذلك، فأخذ عُقْبة بن

= شواهد المغني ٥٦، وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٣، وتاريخ بغداد ٣/٩٨ و ٤/٢٥٤ و ٨/١٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٨٨، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٧، والسير والمغازي ١٧٩، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢/٢٢.

(١) في الأصل «دينه».

(٢) العبارة في الطبعة الأوربية: «إلى ما نال لمثل هذا».

(٣) أنظر: سيرة ابن هشام ٢/٢٣، تاريخ الطبري ٢/٣١٨، أنساب الأشراف ١/١١٦ رقم ٢٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٧، ١٤٨.

أبي مُعَيْط بردائه، وقام أبو بكر الصدّيق دونه يقول وهو يبكي: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟﴾[1]. ثمّ انصرفوا عنه[2].

هذا أشدّ ما بلّغت عنه.

ذِكْر إرسال قريش إلى النجاشيّ في طلب[3] المهاجرين[4]

لما رأت قريشٌ أنّ المهاجرين قد اطمأنُّوا بالحبشة وأمِنوا، وأنّ النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي أُميّة[5] ومعهما هديّة إليه وإلى أعيان أصحابه، فسارا حتى وصلا الحبشة، فحملا إلى النجاشي هديّته وإلى أصحابه هداياهم وقالا لهم: إنّ ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاؤوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلَنا أشراف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلّمهم، وخافا أن يسمع النجاشيّ كلام المسلمين أن لا يسلّمهم. فوعدهما أصحاب النجاشيّ المساعدة على ما يريدان.

ثمّ إنّهما حضرا عند النّجاشيّ فأعلماه ما قد قالاه، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما. فغضب من ذلك وقال: لا والله لا أسلّم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَنْ سواي، حتّى أدعوهم وأسألهم عمّا يقول هذان، فإنْ كانا صادقين سلّمتُهم إليهما، وإن كانوا[6] على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم.

ثمّ أرسل النجاشيّ إلى أصحاب النبيّ ﷺ، فدعاهم فحضروا، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسرّه، وكان المتكلّم عنهم جعفر بن أبي طالب. فقال لهم النجاشيّ: ما

---

(١) سورة غافر، الآية ٢٨.

(٢) أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق ٤/٢٣٩، ٢٤٠ باب ما لقي النبيّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، قال: أقبل عقبة بن أبي مُعَيط والنبيّ ﷺ يصلّي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه، فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٠٤، وانظر دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٥٠، ٥١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٢١٥، والوفا بأخبار المصطفى لابن الجوزي ١/١٩٠.

(٣) في الأصل «ارسال».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٦٢ - ٦٥، دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٨٠، ٨١.

(٥) في سيرة ابن هشام ١/٣٥٩، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٩٢ «ربيعة».

(٦) في الطبعة الأوربية: «كان».

هـذا الدين الـذي فارقتم فيـه قومكم ولم تـدخلوا في ديني ولا دين أحد من المِلَل؟ فقـال جعفر: أيّها الملك كنّـا أهل جـاهليّة، نعبـد الأصنام، ونـأكل الميتـة، ونأتي الفـواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكـل القويُّ منّـا الضعيفَ، حتى بعث الله إلينا رسـولاً منّا نعرف نَسَبَه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نُشرك به شيئاً، ونخلع ما كنّـا نعبد من الأصنـام، وأَمَرَنـا بِصِدْق الحـديث، وأداء الأمـانـة، وصِلَة الـرَّحِم، وحُسْنِ الجِـوار، والكفّ عن المحارم والـدماء، ونهـانا عن الفـواحش، وقول الـزُّور، وأكْل مـال اليتيم، وأَمَرَنا بـالصّلاة والصيـام. وعدّد عليـه أمور الإسـلام، قال: فـآمنّا بـه وصدّقنـاه، وحرّمنا ما حرّم علينا، وحلّلنا ما أحلّ لنا، فتعدّى علينـا قومنـا، فعذّبـونا وفتنـونا عن ديننـا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، فلمّا قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننـا خرجنـا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورجونا أن لا نُظْلَمَ عندك أيّها الملك.

فقال النجاشيّ: هل معك ممّا جاء بـه عن الله شيء؟ قال: نعم، فقـرأ عليه سـطراً من ﴿كهيعص﴾[1]، فبكى النّجـاشيّ وأساقفتـه، قال النّجـاشيّ: إنّ هـذا والـذي جـاء بـه عيسى يخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا[2]، والله لا أسلّمهم إليكما أبداً!.

فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غـداً بما يُبيـد[3] خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي أميّة[4]، وكان أتْقى الرجلين: لا تفعل فإنّ لهم أرحاماً.

فلمّا كان الغد قال للنجـاشيّ: إنّ هؤلاء يقولـون في عيسى بن مريم قـولاً عظيمـاً. فأرسل النجاشيّ فسألهم عن قولهم في المسيح. فقـال جعفر: نقـول فيه الـذي جاءنـا به نبيّنا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشيّ عوداً من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العودَ. فنخرت[5] بـطارقته، فقـال: وإن نخـرتم. وقال للمسلمين: اذهبـوا فأنتم آمنـون، مـا أُحبّ أنّ لي جبـلاً من ذهب، وأنّني آذيتُ رجلاً منكم. وردّ هديّة قريش وقال: ما أخذ الله الرّشْوة منّي حتى آخذها منكم، ولا أطاع النّاسَ فيّ حتى أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار[6].

وظهـر ملك من الحبشة فنـازع النّجاشيَّ في مُلكـه، فعـظُم ذلـك على المسلمين،

---

(١) أوّل سورة مريم.

(٢) في الطبعة الأوربية: «انطلقوا».

(٣) في النسخة (ب): «ينبذ».

(٤) في سيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام «ربيعة».

(٥) في النسخة (ب): «فتشاجرت». وفي الطبعة الأوربية، وسيرة ابن هشام. : «فتناخرت».

(٦) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٦، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥، تاريخ الإسلام ١٩٢ ـ ١٩٤.

وسار النجاشيّ إليه ليقاتله، وأرسل المسلمون الزُّبَير بن العوّام ليأتيهم بخبره، وهم يدْعون له، فاقتتلوا، فظفر النجاشيّ، فما سُرّ المسلمون بشيء سرورهم بظفره[1].

قيل: إنّ معنى قوله إنّ الله لم يأخذ الرِّشْوة منّي، أنّ أبا النجاشيّ لم يكن له ولد غيره، وكان له عمّ قد أولد اثني عشر ولداً، فقالت الحبشة: لو قتلنا أبا النجاشيّ وملّكنا أخاه، فإنّه لا ولد له غير هذا الغلام، وكان أخوه وأولاده يتوارثون المُلْك دهراً. فقتلوا أباه، وملّكوا عمّه، ومكثوا على ذلك حيناً، وبقي النجاشيّ عند عمّه، وكان عاقلاً، فغلب على أمر عمّه، فخافت الحبشة أن يقتلهم جزاءً لقتل أبيه، فقالوا لعمّه: إمّا أن تقتل النجاشيّ، وإمّا أن تُخْرجه من بين أظهرنا، فقد خفناه. فأجابهم إلى إخراجه من بلادهم على كرهٍ منه، فخرجوا إلى السوق، فباعوه من تاجر[2] بستّمائة درهم. فسار به التاجر في سفينته. فلمّا جاء العشاء هاجت سحابة، فأصابت عمّه بصاعقة، ففزعت الحبشة إلى أولاده، فإذا هم لا خير فيهم، فهرج على الحبشة أمرُهم، فقال بعضهم: والله لا يقيم أمرَكُم إلّا النجاشيّ، فإنْ كان لكم بالحبشة رأيٌ فأدرِكوه.

فخرجوا في طلبه حتى أدركوه وملّكوه. وجاء التاجر وقال لهم: إمّا أن تعطوني مالي وإمّا أنْ أكلّمه. فقالوا: كلِّمْهُ. فقال: أيّها الملك، ابتعتُ غلاماً بستّمائة درهم، ثمّ أخذوا الغلام والمالَ. فقال النجاشيّ: إمّا أن تعطوه دراهمه، وإمّا أن يضع الغلام يده في يده، فليذهبنّ به حيث شاء. فأعطوه دراهمه؛ فهذا معنى قوله. فكان ذلك أوّل ما عُلم من عدله ودِينه[3].

قال: ولما مات النجاشيّ كانوا لا يزالون يرون على قبره نوراً[4].

ذِكْر إسلام حمزة بن عبد المطّلب[5]

ثمّ أنّ أبا جهل مرّ برسول الله، ﷺ، وهو جالس عند الصَّفا، فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه، ومولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك. ثمّ انصرف عنه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٣، ٣٦٤، السير والمغازي ٢١٣ - ٢١٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢ - ٧٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/ج٨١ - ٨٣، نهاية الأرب ١٦/٢٤٧ - ٢٥٠، تاريخ الإسلام ١٩٤.

(٢) في الأصل «مستأجر».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٦٤، ٣٦٥، السير والمغازي ٢١٦، ٢١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨٣، ٨٤، نهاية الأرب ١٦/٢٥٠ - ٢٥٢، تاريخ الإسلام ١٩٤، ١٩٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٦٥.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٣٢١، السير والمغازي ١٧١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٧٠، نهاية الأرب ١٦، ٢٠٨، ٢٠٩، سيرة ابن كثير ١/٤٤٥، ٤٤٦، عيون الأثر ١/١٠٤، ١٠٥، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٥٩.

فجلس في نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة بن عبد المطّلب أن أقبل من قنصه متوشّحاً قوسه، وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف الكعبة، وكان يقف على أندية قريش ويسلّم عليهم ويتحدّث معهم، وكان أعزّ قريش وأشدّهم شكيمة. فلمّا مرّ بالمولاة، وقد قام رسول الله، ﷺ، ورجع إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمّد من أبي الحكم بن هشام فإنّه سبّه وآذاه ثمّ انصرف عنه ولم يكلّمه محمّد. قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يَقَعَ به، حتى دخل المسجد، فرآه جالساً في القوم، فأقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس فشجّه شجّة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فارددْ عليّ إن استطعتَ.

وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دَعوا أبا عُمارة، فإنّي سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً. وتمّ حمزة على إسلامه.

فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله، ﷺ، قد عزّ، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

واجتمع يوماً أصحابه فقالوا: ما سمعتْ قريش القرآن يُجْهَر لها به، فمَنْ رجل يُسْمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا. فقالوا: نخشى عليك إنّما نريد مَنْ له عشيرة يمنعونه. قال: إنّ الله سيمنعني. فغدا عليهم في الضحى حتى أتى المقام وقريش في أنديتها، ثمّ رفع صوته وقرأ سورة الرحمن، فلمّا علمت قريش أنّه يقرأ القرآن قاموا إليه يضربونه وهو يقرأ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد اثّروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم اليوم، ولئن شئتم لأغادينّهم. قالوا: حسبك قد أسمعتَهم ما يكرهون.

ذكر إسلام عمر بن الخطّاب[2]

ثمّ أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلاً، وثلاث وعشرين امرأة.

وقيل: أسلم بعد أربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة.

وقيل: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً، وإحدى وعشرين امرأة.

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٣٢١، ٣٢٢ والسير والمغازي ١٧١.

(٢) السير والمغازي ١٨١، سيرة ابن هشام ١/٣٦٩، الطبقات الكبرى ٣/٢٦٩، نهاية الأرب ١٦/٢٥٣، تاريخ الخميس ١/٣٣٣، سيرة ابن كثير ٢/٣٢، عيون الأثر ١/١٢١، عيون التواريخ ١/٧٥، تاريخ الإسلام ١٧٢.

وكان رجلاً جَلداً منيعاً، وأسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. وكان أصحاب النبيّ، ﷺ، لا يقدرون يصلّون عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلمّا أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عندها، وصلّى معه أصحاب النبيّ، صلّى الله عليه وسلم.

وكان قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطّلب، فقوي المسلمون بهما، وعلموا أنّهما سيمنعان رسول الله، ﷺ، والمسلمين.

قالت أمّ عبد الله بنت أبي حثَمة، وكانت زوج عامر بن ربيعة: إنّا لنرحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف عليّ، وكنّا نلقى منه البلاء أذىً وشدّة، فقال: أتنطلقون يا أمّ عبد الله؟ قالت: قُلتُ: نعم، والله لنخرجنّ في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فَرَجاً. قالت: فقال: صَحِبكم الله، ورأيت له رقّة وحزناً. قالت: فلمّا عاد عامر أخبرتُه وقلتُ له: لو رأيتَ عُمَرَ ورقّته وحزنه علينا! قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قلتُ: نعم. فقال: لا يُسْلم حتى يُسْلِمَ حمار الخطّاب، لِما كان يرى من غِلْظته وشدّته على المسلمين، فهداه الله تعالى فأسلم، فصار على الكفّار أشدّ منه على المسلمين[1].

وكان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطّاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو العدويّ، وكانا مسلمَيْن يخفيان إسلامهما من عمر، وكان نُعَيم بن عبد الله النحّام العدويّ قد أسلم أيضاً، وهو يخفي إسلامه فَرَقاً من قومه، وكان خَبّاب بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة يُقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد النبيّ، ﷺ، والمسلمين، وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا، وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً، فلقيه نُعَيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمّداً الذي فرّق أمر قريش وعاب دينَها فأقتله. فقال نُعَيم: والله لقد غرّتك نفسُك، أترى بني عبد مَناف تاركيك تمشي على الأرض، وقد قتلتَ محمّداً؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتُقيم أمرهم؟ قال: وأيّ[2] أهلي؟ قال: خَتَنك[3] وابن عمّك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما.

فرجع عمر إليهما وعندهما خَبّاب بن الأرتّ يُقْرئهما القرآن. فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب، وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذَيْها، وقد سمع عمر قراءة خبّاب. فلمّا دخل قال: ما هذه الهينمة؟ قالا: ما سمعت شيئاً؟ قال: بلى، قد أُخبرتُ

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٣٦٩، والسير والمغازي ١٨١، وعيون التواريخ ١/٧٥، وتاريخ الإسلام ١٨١.
(٢) في الأصل «من».
(٣) أي صهرك زوج أختك.

أنّكما تابعتما محمّداً، وبطش بخَتَنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفّه، فضربها فشجّها، فلمّا فعل ذلك قالت له أخته: قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع ما شئتَ.

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمّد. قالت: إنّا نخشاك عليها، فحلف أنّه يُعيدها. قالت له، وقد طمعت في إسلامه: إنّك نجسٌ على شركك ولا يمسّها إلاّ المطهَّرون، فقام فاغتسل. فأعطته الصحيفة وقرأها، وفيه: طه، وكان كاتباً، فلمّا قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلمّا سمع خبّاب خرج إليه وقال: يا عمر إنّي والله لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإنّي سمعتُهُ أمسِ وهو يقول: اللهمّ أيّد الإسلام بعمر بن الخطّاب أو بأبي الحَكَم بن هِشام، فالله الله يا عمر! فقال عمر عند ذلك: فدلّني يا خبّاب على محمّد، حتى آتيه فأسلم. فدلّه خبّاب، فأخذ سيفه وجاء إلى النبيّ، ﷺ، وأصحابه فضرب عليهم الباب، فقام رجل منهم فنظر من [خلَلَ] الباب، فرآه متوشّحاً سيفَهُ، فأخبر النبيَّ، ﷺ، بذلك، فقال حمزة: إئذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن أراد شرّاً قتلناه بسيفه.

فأذِن له، فنهض إليه النبيّ، ﷺ، حتى لقيه فأخذ بمجامع ردائه، ثمّ جذبه جذْبة شديدة وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى يُنزل الله عليك قارعةً. فقال عمر: يا رسول الله جئتُ لأومن بالله وبرسوله، فكبّر، ﷺ، تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم. فلمّا أسلم قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ قيل: جَميل بن مَعْمر الجُمَحيّ، فجاءه فأخبره بإسلامه، فمشى إلى المسجد وعمر وراءه وصرخ: يا معشر قريش ألا إنّ ابن الخطّاب قد صبأ. فيقول عمر من خلفه: كذب ولكنّي أسلمتُ، فقاموا، فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيَا، فقعد وهم على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فلو كنّا ثلاثمائة نفر[1] تركناها لكم أو تركتموها لنا، يعني مكّة.

فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلّة فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمَهْ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ يسلّمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلّوا عن الرجل. وكان الرجل العاص بن وائل السَّهْميّ[2].

قال عمر: لما أسلمتُ أتيتُ باب أبي جهل بن هشام فضربتُ عليه بابه، فخرج إليّ وقال: مرحباً يابن أخي! ما جاء بك؟ قلتُ: جئتُ لأخبرك أنّي قد أسلمتُ وآمنت

---

(١) في الطبعة الأوربية زيادة بعدها: «لقد».

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٣٧٣/١، ٣٧٦، والسير والمغازي ١٨٤، ١٨٥، ونهاية الأرب ٢٥٦/١٦، ٢٥٧، وتاريخ الإسلام ١٧٤ ـ ١٧٦، وعيون التواريخ ٧٧/١.

محمّد، ﷺ، وصدّقتُ ما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به![1].

وقيل في إسلامه غير هذا.

ذِكْر أمر الصّحيفة[2]

ولما رأت قريشٌ الإسلامَ يفشو ويزيد، وأنّ المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر، وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أميّة من النجاشيّ بما يكرهون من منع المسلمين عنهم، وأمنهم عنده، ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يُنكحوا بني هاشم وبني المطّلب، ولا يَنكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً. فكتبوا بذلك صحيفةً وتعاهدوا على ذلك، ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم، فلمّا فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا[3].

وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطّلب إلى قريش، فلقي هنداً بنت عُتْبة فقال: كيف رأيتِ نصريَ اللاّتَ والعُزّى؟ قالت: لقد أحسنتَ. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهِدوا، لا يصل إلى أحد منهم شيء إلاّ سرّاً[4].

وذكروا أنّ أبا جَهْل لقي حَكيم بن حِزام بن خُوَيْلد، ومعه قمحٌ يريد به عمّته خديجة، وهي عند رسول الله، ﷺ، في الشِعْب، فتعلّق به وقال: والله لا تبرح حتى أفضحك. فجاء أبو البَخْتَريّ بن هشام فقال: ما لك وله؟ عنده طعام لعمّته أفتمنعه أن يحمله إليها؟ خَلِّ سبيله. فأبَى أبو جهل، فنال منه. فضربه أبو البَخْتَرِيّ بلَحْي جملٍ، فشجّه ووطِئه وطأً شديداً، وحمزة ينظر إليهم، وهم يكرهون أن يبلغ النبيَّ، ﷺ، ذلك فيشمت بهم هو المسلمون. ورسول الله، ﷺ، يدعو الناسَ سرّاً وجهراً، والوحي متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين[5].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٦، عيون التواريخ ١/٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥ ـ ٨، نهاية الأرب ١٦/٢٥٨، المغازي لعروة ١١٤ ـ ١١٦، دلائل النبوّة لأبي نُعيم ١/٩٢، ٩٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٨ ـ ٢١٠، تاريخ الإسلام ٢٢١، المستخرج من كتاب التاريخ لابن منده (مخطوطة كوبريللي) رقم ٢٤٢ ـ ورقة ١٧ ب ـ ١٨ أ، عيون التواريخ ١/١/٧٨، عيون الأثر ١/١٢٦، السيرة لابن كثير ٢/٤٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١، البدء والتاريخ ٤/١٥٣، سبل الهدى ٢/٥٠٢.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٦، وأنظر الطبقات الكبرى ١/٢٠٨.

(٤) ابن هشام ٢/٧، ٨ أنساب الأشراف ١/٢٣٠ رقم ٥٥٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٨.

وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش، وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عمرو[1] بن لُؤيّ، وهو ابن أخي نَضْلة بن هشام بن عبد مناف لأمّه، وكان يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً ليلاً، ويستقبل به الشِّعب، ويخلع خطامه فيدخل الشِّعب. فلمّا رأى ما هم فيه وطول المدّة عليهم مشى إلى زُهَير بن أبي أمَيّة بن المغيرة المخزوميّ، أخي أمّ سلمة، وكان شديد الغيرة على النبيّ، ﷺ، والمسلمين، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمتَ؟ أما إنّي أحلف بالله لو كانوا[2] أخوال أبي الحكم، يعني أبا جهل، ثمّ دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً. فقال: فماذا أصنع؟ وإنّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجلٍ آخر لنقضتها. فقال: قد وجدتَ رجلاً. قال: ومَن هو؟ قال: أنا. قال زُهَير: ابغِنا ثالثاً.

فذهب إلى المُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف فقال له: أرضيتَ أن يهلك بطنان من بني عديّ بن عبد مَناف، وأنت شاهد ذلك موافق فيه؟ أمَا والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سراعاً. قال: ما أصنع؟ إنّما أنا رجلٍ واحد. قال: قد وجدتَ ثانياً. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: ابغِنا ثالثاً. قال: قد فعلتُ. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أميّة. قال: ابغِنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البَخْتَريّ بن هشام، وقال له نحواً ممّا قال للمُطعِم، قال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا وزهير والمطعم. قال: ابغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، فكلّمه وذكر له قرابتهم، قال: وهل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم، وسمّى له القوم، فاتّعدوا خَطْم الحَجون الذي بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا[3] على القيام في نقض الصحيفة. فقال زهير: أنا أبدأكم.

فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف بالبيت، ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهل مكّة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكَى لا يبتاعون ولا يُبتاعِ منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة[4]. قال أبو جهل: كذبت

(١) في السيرة «عامر».
(٢) في الطبعة الأوربية «كان».
(٣) في السيرة «تعاقدوا».
(٤) في الأصل «الضالة».

والله لا تُشَقّ. قال زَمَعَة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا بهـا حين كُتبتْ. قال أبـو البَخْتريّ: صدق زَمَعة، لا نرضى ما كُتب فيها. قال المُطْعم بن عـديّ: صدقتمـا وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بـن عمرو نحـواً من ذلك. قـال أبو جهـل: هذا أمـر قُضيَ بليل، وأبو طالب في ناحية المسجد.

فقام المُطْعم إلى الصحيفة ليشقّها، فوجد الأرَضَة قد أكلتها، إلّا ما كـان: باسمـك اللهمّ، كانت تفتتح بها كتبها، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرِمة[1]، فشُلّت يده[2].

وقيـل: كان سبب خـروجهم من الشِّعب، أنّ الصحيفة لمـا كُتبت وعُلّقت بـالكعبـة اعتزل الناس بني هـاشم وبني المطّلب، وأقـام رسول الله، ﷺ، وأبـو طالب ومن معهمـا بالشِّعب ثلاث سنين، فأرسل الله الأَرَضَة وأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحِم، وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبـرائيل إلى النبيّ، ﷺ، فـأعلمه بـذلك، فقـال النبيّ، ﷺ، لعمّه أبي طالب، وكان أبو طالب لا يشكّ في قوله، فخـرج من الشِّعب إلى الحرم، فـاجتمـع المـلأ من قـريش، وقـال: إنّ ابن أخي أخبـرني أنّ الله أرسـل على صحيفتكم الأَرَضَةَ، فأكلت ما فيها من قـطيعة رَحِمٍ وظلمٍ، وتـركت اسمَ الله تعالى، فـأحضِروهـا، فإن كان صادقاً علمتم أنّكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذباً علمنـا أنّكم على حقّ وأنّا على باطل.

فقاموا سراعاً وأحضروها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله، ﷺ، وقويت نفسُ أبي طالب واشتدّ صوته وقال: قد تبيّن لكم أنّكم أولى بالظلم والقطيعة. فنكسـوا رؤوسهم[3]، ثمّ قالوا: إنّما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام أولئك النفر في نقضهـا كما ذكـرنا. وقـال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحِم أبياتاً منها:

وقـد كـان في أمـر الصحيفـة عِبـرَةٌ ... متى مـا يُخَبَّـرْ غـائبُ القـوم يَعجَب
مَحَـا الله منهُم كفـرَهم وعقـوقَهم ... وما نقموا[4] من ناطق الحقّ[5] مُعرِب
فـأصبحَ مـا قالـوا من الأمـرِ بـاطـلاً ... ومَنْ يختلِقْ ما ليس بالحقّ يكذِب[6]

---

(١) في النسخة (ب): «عمرو من بني عبد الدار».
(٢) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ٢/٢٧ - ٢٩، وتاريخ الطبـري ٢/٣٤١ - ٣٤٣، وأنظر الـطبقات لابن سعـد ١/٢٠٩.
(٣) الطبقات الكبرى ١/٢٠٩، ٢١٠، أنساب الأشراف ١/٢٣٤ رقم ٥٥٨.
(٤) في عيون التواريخ «نمّقوا».
(٥) في عيون التواريخ «الخط».
(٦) الأبيات في عيون التواريخ ١/٨١.

ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله، ﷺ، نفسَهُ على العرب[1]

توفّي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين[2]، وبعد خروجهم من الشِّعب، فتوفّي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة، وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً[3].

وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ثلاثة أيّام[4]، فعظُمت المصيبة على رسول الله، ﷺ، وبهلاكهما، فقال رسول الله، ﷺ: «ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[5]، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه[6]، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلّي، وكان رسول الله، ﷺ، يُخْرج ذلك على العود ويقول: «أيّ جوار هذا يا بني عبد مَناف»! ثمّ يلقيه بالطريق.

فلمّا اشتدّ عليه الأمر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقيف يلتمس منهم النصر. فلمّا انتهى إليهم عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذٍ سادة ثقيف، وهم إخوةٌ [ثلاثة]: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عُمَير، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم في نصرته على الإسلام، والقيام معه على مَنْ خالفَه، فقال أحدهم: ماردٌ يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال آخر: أما وجد الله مَنْ يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلّمك كلمة أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلّمك[7].

فقام رسول الله، ﷺ، وقد يَئِس من خير ثقيف، وقال لهم: إذا أبيتم فاكتموا عليّ ذلك، وكره أن يبلغ قومه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم. فاجتمعوا إليه وألجؤوه إلى حائط لعُتْبة وشَيْبة ابنَيْ ربيعة، وهو البستان، وهما فيه، ورجع السفهاء عنه، وجلس إلى

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٣٧، السير والمغازي ٢٣٢ و٢٣٦ و٢٤٣، سيرة ابن هشام ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/٢٧٩، تاريخ الطبري ٢/٣٤٣، البدء والتاريخ ٤/١٥٤، تاريخ الإسلام ٢٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٤٣.

(٣) البدء والتاريخ ٤/١٥٤، أنساب الأشراف ١/٢٣٦.

(٤) أنساب الأشراف ١/٢٣٦، البدء والتاريخ ٤/١٥٤.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٦٤، تاريخ الإسلام ٢٣٥، وهو غريب مرسل.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٦٤.

(٧) تاريخ الإسلام ٢٨٥.

ظلّ حَبَلة[1]، وقال: «اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، اللهمّ يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعَفين، وأنت ربّي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيد يتجهّمني، أو إلى عدوّ ملّكتَه أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي! ولكنّ عافيتك هي أوسع، إنّي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو تُحلّ بي سخطك».

فلمّا رأى ابنا ربيعة ما لحِقه تحرّكت له رحِمَهُما، فدعوَا غلاماً لهما نصرانيّاً اسمه عَدّاس فقالا له: خذْ قِطْفاً من هذا العنب، واذهبْ به إلى ذلك الرجل، ففعل. فلمّا وضعه بين يدي رسول الله، ﷺ، وضع يده فيه وقال: بسم الله، ثمّ أكل، فقال عدّاس: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له النبيّ، ﷺ: من أيّ بلاد أنت، وما دينك؟ قال: أنا نصرانيّ من أهل نينَوى. فقال رسول الله، ﷺ: أمِن قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ ذلك أخي كان نبيّاً وأنا نبيّ، فأكبَّ عَدّاس على يدي رسول الله، ﷺ، ورِجلَيْه يقبّلها فعاد.

فيقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلمّا جاء عَدّاس قالا له: ويحك ما لك تقبّل يدَيْه ورِجلَيْه؟ قال: ما في الأرض خيرٌ من هذا الرجل. قالا: ويحك إنّ دينك خير من دينه[2].

ثمّ انصرف رسول الله، ﷺ، راجعاً إلى مكّة حتى إذا كان في جوف الليل قام قائماً يصلّي، فمرّ به نفرٌ من الجنّ، وهم سبعة نفر من جنّ نَصِيبين، رائحين إلى اليمن فاستمعوا له، فلمّا فرغ من صلواته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا[3].

وذكر بعضهم أن رسول الله، ﷺ، لما عاد من ثقيف أرسل إلى المُطْعم بن عديّ ليُجيره[4]، حتى يبلِّغ رسالة ربّه، فأجاره[5]، وأصبح المُطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو

(١) في النسخة (ب): «نخلة»، والمثبت يتفق مع سيرة ابن هشام.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٦٧ - ٦٩، والمغازي لعروة ١١٧ - ١١٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ١/٣٨٩ - ٣٩٢، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٦٥، وتاريخ الطبري ٢/٣٤٤، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣، ١، وتاريخ الإسلام ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٦٩ وتاريخ الإسلام ١٩٨ وقد أخرج البخاري حديث إسلام الجن في كتاب مناقب الأنصار ٤/٢٤٠ باب ذكر الجن وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، وصحيح مسلم في كتاب الصلاة (٤٤٩) باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنّ، والترمذي في سورة الجنّ (٣٣٧٩)، وأحمد في المسند ١/٢٥٢، و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٤١٦، وانظر دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٢، وعيون الأثر ١/١٣٧.

(٤) في بعض النسخ، «ليخبره».

(٥) أنساب الأشراف ١/٢٣٧.

أخيه، فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمُجير أم متابع؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا مَن أجرتَ. فدخل النبيّ، ﷺ، مكّة وأقام بها. فلمّا رآه أبو جهل قال: هذا نبيّكم يا عبد مَناف. فقال عُتبة بن ربيعة: وما ينكر أن يكون منّا نبيّ وملِك؟ فأُخبر رسول الله، ﷺ، بذلك، فأتاهم فقال: أمّا أنت يا عُتبة فما حَميتَ لله وإنّما حميت لنفسك، وأمّا أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد، حتّى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً، وأمّا أنتم يا معشر قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتّى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون، فكان الأمر كذلك.

وكان رسول الله، ﷺ، يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى كِندَةَ في منازلهم[1]، وفيهم سيّد لهم يقال له مُلَيْح، فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم، فأبوا عليه[2].

فأتى كلباً إلى بطن منهم يقال لهم [بنو] عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم، فلم يقبلوا ما عرض عليهم[3].

ثمّ إنّه أتى بني حنيفة، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّاً عليه منهم. ثمّ أتى بني عامر فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله على مَنْ خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أفنُهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك[4].

فلمّا رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم كبير، فأخبروه خبرَ النبيّ، ﷺ، ونسبه، وضع يده على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر هل من تَلاف؟ والذي نفسي بيده ما تقوّلها إسماعيليّ قطّ وإنّها لحقّ، وأين كان رأيكم عنه[5]!.

ولم يزل رسول الله، ﷺ، يعرض نفسه على كلّ قادم له اسم وشرف ويدعوه إلى الله. وكان كلّما أتى قبيلة يدعوهم إلى الإسلام تبِعه عمّه أبو لَهَب، فإذا فرغ رسول الله،

---

(١) في الطبعة الأوربية «فنازلهم».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٧٢، أنساب الأشراف ١/٢٣٨، تاريخ الطبري ٢/٣٤٩، السير والمغازي ٢٣٢، تاريخ الإسلام ٢٨٦.

(٣) المصادر نفسها.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٧٣، أنساب الأشراف ١/٢٣٨، تاريخ الطبري ٢/٣٤٩، تاريخ الإسلام ٢٨٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٧٣.

ﷺ، من كلامه يقول لهم أبو لهب: يا بني فلان، إنّما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا[1] اللّات والعُزّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجنّ إلى ما جاء به من الضّلالة والبِدْعة، فلا تُطِيعوه ولا تسمعوا له[2].

ذِكْر أوّل عرض رسول الله، ﷺ نفسَهُ على الأنصار وإسلامهم

فقدِم سُوَيْد بن الصامت أخو بني عمرو بن عَوْف ـ بطن من الأوس ـ مكّة حاجّاً ومعتمراً، وكان يسمّى الكامل لجَلَده وشعره ونسبه، وهو القائل:

ألا رُبَّ مَن تَدعو صَديقاً ولَوْ تَرَى ... مقالَته بالغَيبِ ساءك ما يَفرِي
مقالَتُهُ كالشَّحم ما[3] كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغرة النّحرِ
يسرّك[4] باديه[5] وتحتَ أديمِهِ ... نَميمَة غِشّ تبتري[6] عَقَبَ الظّهرِ
تُبينُ لكَ العينانِ ما هو كاتمٌ ... وما جنّ[7] بالبغضاء والنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْني بخَيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... فخيرُ الموالي مَنْ يَريش ولا يَبرِي[8]

فتصدّى له رسول الله، ﷺ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن، ثمّ انصرف وقدم المدينة، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قُتل يومَ بُعَاث، فكان قومه يقولون: قُتل وهو مسلم[9].

(بُعاث: بالباء الموحّدة المضمومة، والعين المهملة، وهو الصحيح).

وقدم أبو الحَيْسَر أنس بن رافع مكّةَ، مع فِتْية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحلْف من قريش على قومهم من الخزرج، فأتاهم النبيّ، ﷺ، وقال

---

(١) في الطبعة الأوربية «تستحلّوا»، والتصحيح من سيرة ابن هشام.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٧٢.
(٣) في الطبعة الأوربية «كالسحر إذ»، وفي سيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام ٢٨٧ «كالشهد ما»، والمثبت يتفق مع تاريخ الطبري.
(٤) في النسخة (ب): «يغرك».
(٥) في إحدى النسخ «ناديه».
(٦) في إحدى النسخ «يفتري»، وتبتري: تقطع، وعَقَبَ الظهر: عصبه.
(٧) في النسخة (ب): «ويلحن»، وفي السيرة، وتاريخ الإسلام: «مَن الغلّ»، وفي تاريخ الطبري «ولا جنّ».
(٨) راجع الأبيات في سيرة ابن هشام ٢/٧٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٥١، وتاريخ الإسلام ٢٨٧، وسيرة ابن كثير ٢/١٧٣، ١٧٤.
(٩) سيرة ابن هشام ٢/٧٥، تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، نهاية الأرب ١٦، ٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٧..

لهم: هل لكم فيما هو خير لكم ممّا جئتم له؟ ودعاهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس، وكان غلاماً حَدَثاً: هذا والله خير ممّا جئنا له. فضرب وجهه أبو الحَيْسر بحفنة[1] من البطحاء، وقال: دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا. فسكت إياس، وقام رسول الله، ﷺ، ولم يلبث إياس أنْ هلك، فسمعه قومه يهلّل الله ويكبّره حتى مات، فما يشكّون أنّه مات مسلماً[2].

ذكر بيعة العَقَبة الأولى وإسلام سعد بن مُعاذ[3]

فلمّا أراد الله إظهارَ دينه، وإنجازَ وعده خرج رسول الله، ﷺ، في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله، فبينما هو عند العَقَبة لقي رهْطاً من الخزرج، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وقد كانت يهود معهم ببلادهم، وكان هؤلاء أهل أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شرّ تقول اليهود: إنّ نبيّاً يُبْعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتْل[4] عاد وثمود. فقال أولئك النفر بعضهم لبعض: هذا والله النبيّ الذي توعدكم به اليهود، فأجابوه وصدّقوه وقالوا له: إنّ بين قومنا شرّاً، وعسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعزّ منك. ثمّ انصرفوا عنه.

وكانوا سبعة نفر من الخزرج: أسعد بن زُرارة بن عُدَس أبو أُمامة، وعَوْف بن الحارث بن رِفاعة، وهو ابن عفراء، كلاهما من بني النجّار، ورافع بن مالك بن عَجْلان، وعامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غَنْم، كلاهما من بني زُرَيْق، وقُطْبة بن عامر بن حديد ابن سواد من بني سَلِمة - سلمة هذا بكسر اللام -، وعُقْبة بن عامر بن نابىء من بني غَنْم، وجابر بن عبد الله بن رِياب من بني عبيدة[5].

(رِياب بكسر الراء والياء المعجمة باثنتين من تحت، وبالباء الموحّدة).

فلمّا قدِموا المدينةَ ذكروا لهم النبيّ، ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم.

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعَقَبة،

---

(١) في النسخة (ب): «بحصبة».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٧٦، تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، ٣٥٣، نهاية الأرب ١٦/٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٨، وانظر عيون الأثر ١/١٥٥، وسيرة ابن كثير ٢/١٧٤، ١٧٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٧٩ - ٨٢، المغازي لعروة ١٢١ - ١٢٣، الطبقات الكبرى ١/٢٢٠، تاريخ الطبري ٢/٣٥٣ - ٣٥٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٦٩ - ١٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣١٠، ٣١١، تاريخ الإسلام ٢٨٩ - ٢٩١، الدرر في اختصار المغازي والسير، عيون الأثر ١/١٥٦، عيون التواريخ ٨٩، أنساب الأشراف ١/٢٣٩، سيرة ابن كثير ٢/١٧٦.

(٤) في النسخة (ب): «ومثلكم معه مثل».

(٥) في النسخة (ب) «عبد».

وهي العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء، وهم: أسعد بن زُرارة، وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وذَكْوان بن عبد قيس من بني زُريق، وعُبادة بن الصّامت من بني عَوْف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خَزَمة أبو عبد الرحمن بن بليّ حليف لهم، وعبّاس بن عُبادة بن نَضْلة من بني سالم، وعُقْبة بن عامر بن نابيء، وقُطبة بن عامر بن حديدة، وهؤلاء من الخزرج، وشهدها من الأوس أبو الهَيثم بن التّيِّهان، حليف لبني عبد الأشهل، وعُوَيم بن ساعدة حليف لهم(١).

فانصرفوا عنه، وبعث، ﷺ، معهم مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار، وأمره أن يُقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام، فنزل بالمدينة على أسعد بن زُرارة، فخرج به أسعد بن زُرارة فجلس في دار بني ظَفَر، واجتمع عليهما رجالٌ ممّن أسلم. فسمع به سعد بن مُعاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، وهما سيّدا بني عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرك، فقال سعد لأُسَيْد: انطلقْ إلى هذَين اللذين أَتَيا دارنا فانههما، فإنّه لولا أسعد بن زُرارة، وهو ابن خالتي، كفيتك ذلك. فأخذ أُسَيد حربته ثمّ أقبل عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلا عنّا. فقال مُصْعب: أَوَتجلس فتسمع، فإنْ رضيتَ أمراً قبلته، وإن كرهتَه كُفّ عنك ما تكرهُ! فقال: أنصفتَ. ثمّ جلس إليهما، فكلّمه مُصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجلّه! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدِين؟ قالا: تغتسل وتطهّر ثيابك، ثمّ تشهد شهادةَ الحقّ ثمّ تصلّي ركعَتين، ففعل ذلك وأسلم. ثمّ قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلّف عنكما أحد من قومه، وسأرسله إليكما، سعد بن مُعاذ.

ثمّ انصرف إلى سعد وقومه، فلمّا نظر إليه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فقال له سعد: ما فعلتَ؟ قال: كلّمتُ الرجلين، والله ما رأيتُ بهما بأساً، وقد حُدّثت أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه. فقام سعد مُغضباً مبادراً لخوفه ممّا ذكر له، ثمّ خرج إليهما، فلمّا رآهما مطمئنّين عرف ما أراد أُسَيْد، فوقف عليهما وقال لأسعد بن زُرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي. فقال له مُصْعب: أَوَتقعد فتسمع، فإنْ رضيتَ أمراً قبِلْتَه، وإن كرهتَه عزلنا عنك ما تكره! فجلس فعرض عليه مُصعب الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقال لهما: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالا له ما قالا لأُسَيْد، فأسلم وتطهّر ثمّ عاد إلى نادي قومه ومعه أُسَيْد بن حُضَير، فلمّا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا. قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ، حتّى تؤمنوا

---

(١) الخبر في المصادر السابقة.

بـالله ورسولـه. قال: فـوَالله ما أمسى في دار عبـد الأشهـل رجـل ولا امـرأة إلّا مسلمـاً أو مسلمة.

ورجع مُصْعب إلى منزل أسعد، ولم يزل يـدعو إلى الإسـلام، حتّى لم يبق دار من دور الأنصـار إلّا وفيها رجـال ونساء مسلمـون، إلّا ما كـان من بني أميّة بن زيـد، ووائل، وواقف، فإنّهم أطاعـوا أبا قيس بن الأسْلَت، فـوقف بهم عن الإسلام حتى هـاجر النبيّ، ﷺ، ومضت بدر، وأُحُد، والخندق، وعاد مُصعب إلى مكّة[1].

(أُسَيْـد: بضمّ الهمزة، وفتـح السين. وحُضَير: بضمّ الحـاء المهملة، وفتح الضـاد المعجَمة، وتسكين الياء تحتها نقطتان، وفي آخره راء).

ذكر بيعة العَقَبَة الثانية[2]

لمـا فشـا الإسـلام في الأنصـار اتّفق جمـاعـةٌ منهم على المسيـر إلى النبيّ، ﷺ، مُستخفين لا يشعـر بهم أحد، فسـاروا إلى مكّـة في المـوسم في ذي الحجّـة، مـع كفّـار قومهم، واجتمعوا به، وواعدوه أوسط أيّام التشريق بالعَقَبة.

فلمّا كان اللّيل خرجـوا بعد مضيّ ثُلْثـه، مستخْفين يتسلّلون حتى اجتمعوا بـالعَقَبة، وهم سبعون رجلاً، معهم امرأتان: نُسَيْبة بنت كعب أمّ عُمارة، وأسماء أمّ عمرو بن عَديّ من بني سَلِمَة، وجاءهم رسول الله، ومعه عمّه العبّاس بن عبد المطّلب، وهو كافـر أحَبّ أن يتوثّق لابن أخيه، فكان العبّاس أوّل مَنْ تكلّم فقال: يا معشر الخزرج، وكـانت العرب تسمّي الخزرج والأوس به، إنّ محمّداً منّا حيث قد علمتم في عزّ ومَنَعة، وإنّه قد أَبَى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنّكم وافون[3] له بما دعوتموه إليه ومانعوه[4] فأنتم وذلـك، وإن كنتم ترون أنّكم مُسلموه فمن الآن فدعوه فإنّه في عزّ ومنعة.

فقـال الأنصار: قـد سمعنا مـا قلتَ، فتكلّمْ يا رسـول الله وخذْ لنفسـك وربِّـك مـا أحببتَ.

---

(١) الخبـر في سيرة ابن هشـام ٢/٨٣ ـ ٨٥، والدرر لابن عبـد البرّ ١/١٦٠، وتـاريـخ الإسـلام ٢٩٥ ـ ٢٩٧، وعيون الأثر ١/١٦١.

(٢) نهاية الأرب ١٦/٣١٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢١، عيون التواريخ ١/٩٣، سيـرة ابن هشام ٢/٨٦، دلائـل النبوّة للبيهقي ٢/١٨٢، المسند للإمام أحمد ٤/١١٩، تاريخ الإسلام ٢٩٧، عيـون الأثر ١/١٥٦، السيـرة لابن كثير ٢/١٩٢، البداية والنهاية ٣/١٥٨، تاريخ الخميس ١/٣٥٧.

(٣) في الطبعة الأوربية «تفون».

(٤) في النسخة (ب): «وتبايعوه».

فتكلّم وتلا القرآن، ورغّب في الإسلام، ثمّ قال: «تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

ثمّ أخذ البَراء بن معرور بيده، ثمّ قال: والذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع منه أُزُرَنا[1]، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الناس حِبالاً، وإنّا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عَسِيتَ إن أظهرك الله عزّ وجلّ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا؟.

فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم منّي وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم». وقال رسول الله، ﷺ: «أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم»، فأخرجوهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس[2].

وقال لهم العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصاريّ: يا معشر الخزرج هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنّكم إذا نُهكَت[3] أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله خِزْي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنّكم وافون له فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: الجنّة. قالوا: ابسطْ يدك، فبايعوه.

وما قال العبّاس بن عُبادة ذلك إلّا ليشدَّ العَقد له عليهم[4].

وقيل: بل قاله ليؤخّر الأمر، ليحضر عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم[5].

فكان أوّل مَنْ بايعه أبو أُمامة أسعد بن زُرارة، وقيل: أبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، وقيل: البَراء بن معرور. ثمّ تتابع[6] القوم فبايعوا، فلمّا بايعوه صرخ الشيطانُ من رأس العَقَبة: يا

---

(١) في النسخة (ب): «ذرارينا».
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٨٩، ٩٠.
(٣) في النسخة (ب): «نهيت».
(٤) سيرة ابن هشام ٢/٩٢، ٩٣ تاريخ الإسلام ٣٠٠.
(٥) المصدران السابقان.
(٦) في الطبعة الأوربية «بايع»، وفي سيرة ابن هشام ٢/٩٣ «بايع بعد القوم»، والمثبت يتفق مع تاريخ الإسلام ٣٠٤.

أهل الجباجب[1]، هل لكم في مُذَمَّمٍ والصُّباة معه قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله، ﷺ: «أما والله لأفرغنّ لك أيْ عدوّ الله»! ثمّ قال: «ارفضّوا إلى رحالكم». فقال له العبّاس بن عُبادة: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لئن شئتَ لنميلنّ غداً على أهلِ منىً بأسيافنا. فقال: «لم نؤمر بذلك»، فرجعوا.

فلمّا أصبحوا جاءهم جِلّة قريش فقالوا: قد بلغنا أنّكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على حربنا، وإنّه والله ما من حيّ من أحياء العرب أبغضُ إلينا أن تَنْشب بيننا وبينهم الحرب منكم. فحلف من هناك من مشركي الأنصار ما كان من هذا شيء[2].

فلمّا سار الأنصار من مكّة قال البَرَاء بن معرور: يا معشر الخزرج! قد رأيتُ أن لا أستدبر الكعبة في صلاتي. فقالوا له: إنّ رسول الله، ﷺ، يستقبل الشام، فنحن لا نخالفه، فكان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا قدِم مكّةَ سأل رسولَ الله، ﷺ، عن ذلك فقال: لقد كنتَ على قِبلة لو صبرتَ عليها. فرجع إلى قبلة رسول الله، ﷺ[3]. فلمّا بايعوه ورجعوا إلى المدينة، كان قدومهم في ذي الحجّة، فأقام رسول الله، ﷺ، بمكّة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر[4]، وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، وقدِمَها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وقد كانت قريش، لما بلغهم إسلام مَنْ أسلم من الأنصار، اشتدّوا على مَنْ بمكّة من المسلمين، وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهدٌ شديد، وهي الفتنة الآخرة؛ وأمّا الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة.

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى، فإنّ الأولى كانت على بيعة النساء، وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود.

ثمّ أمر النبيّ، ﷺ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أوّل مَنْ قدِمها أبو سَلَمَة ابن عبد الأسد، وكانت هجرته قبل البيعة بسنة، ثمّ هاجر بعده عامر بن ربيعة، حليف بني عديّ، مع امرأته ليلى ابنة أبي حَثْمَة[5]، ثمّ عبد الله بن جَحْش، ومعه أخوه أبو أحمد

---

(١) الجباجب: يعني منازل مِنَى. (عيون الأثر ١/١٧٢).
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٩٣، تاريخ الطبري ٢/٣٦٣ - ٣٦٥، تاريخ الإسلام ٣٠٤.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٨٦، تاريخ الإسلام ٣٠١، ٣٠٢.
(٤) المغازي لعروة ١٢٩، تاريخ الإسلام ٣١٦.
(٥) في الأصل «خيثمة»، وفي النسخة (ت): «غنم»، وما أثبتناه يتّفق مع تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٩٧، وتاريخ الإسلام ٣١٣.

وجميع أهله، فأُغلقت دارهم، وتتابع الصحابة، ثمّ هاجر عمر بن الخطّاب، وعَيّاش بن أبي ربيعة، فنزلا في بني عمرو بن عَوْف، وخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، إلى عَيّاش بن أبي ربيعة بالمدينة، وكان أخاهما لأمّهما، فقالا له: إنّ أمّك قد نذرت أنّها لا تستظلّ ولا تمتشط. فرقّ لها، وعاد وتتابع الصحابة بالهجرة، إلى أن هاجر رسول الله، ﷺ[1].

ذكر هجرة النبيّ ﷺ[2]

لما تتابع أصحاب رسول الله، ﷺ، بالهجرة أقام هو بمكّة ينتظر ما يؤمر به من ذلك، وتخلّف معه عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق. فلمّا رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله، ﷺ، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قُصَيّ بن كلاب، وتشاوروا فيها، فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد سمعتُ بخبركم فحضرتُ، وعسى أن لا تعدموا منّي رأياً[3].

وكانوا عُتْبة، وشيبة، وأبا[4] سفيان، وطُعَيْمة بن عديّ، وحبيب بن مُطْعِم، والحارث ابن عامر، والنَّضْر بن الحارث، وأبا[4] البَخْتَريّ بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حِزام، وأبا[4] جهل، ونُبَيْهاً، ومُنَبّهاً ابني الحجّاج[5] وأُميّة بن خَلَف، وغيرهم.

فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتّبعه، فأجمِعوا فيه رأياً. فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثمّ تربّصوا به ما أصاب الشعراء قبله. فقال النجديّ: ما هذا لكم برأي، لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فلأوْشكوا أن يثبوا عليكم، فينتزعوه[6] من أيديكم. فقال آخر: نُخْرجه وننفيه من بلدنا، ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنّا. فقال

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٩٧، نهاية الأرب ١٦/٣٢٢، تاريخ الإسلام ٣١٣، ٣١٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧، أنساب الأشراف ١/٢٥٧، تاريخ الطبري ٢/٣٧٥، المغازي لعروة ١٢٨، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠، عيون التواريخ ١/٩٧، مروج الذهب ٢/٢٨٥، تاريخ الخميس ١/٣٦٢، سبل الهدى ٣/٣٣٥، البدء والتاريخ ٤/١٦٤، تاريخ خليفة ٥٤، عيون الأثر ١/١٧٣، سيرة ابن كثير ٢/٢١٣، البداية والنهاية ٣/١٦٨، تاريخ الإسلام ٣١٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٢٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «أبو».

(٥) في الطبعة الأوربية «نبيه ومنبّه ابنا الحجاج».

(٦) في الطبعة الأوربية «فينزعونه».

النجديّ: ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك لحلّ على حيّ من أحياء العرب، فيغلب عليهم بحلاوة منطقه، ثمّ يسير بهم إليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم. فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتىً نسيباً، ونُعطي كلّ فتى منهم سيفاً، ثمّ يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل كلّها، فلم يقدر بنو عبد مَناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منّا بالعقل. فقال النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي؛ فتفرّقوا على ذلك[1].

فأتى جبرائيل النبيّ، ﷺ، فقال: لا تَبُتِ الليلةَ على فراشك. فلمّا كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلمّا رآهم رسول الله، ﷺ، قال لعليّ ابن أبي طالب: نم على فراشي واتّشح ببُرْدي الأخضر، فنمْ فيه، فإنّه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك.

وخرج رسول الله، ﷺ، فأخذ حفنةً من تراب، فجعله على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات من ﴿**يس وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ**﴾، إلى قوله: ﴿**فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[2]. ثمّ انصرف فلم يروه، فأتاهم آتٍ فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمّداً. قال: خيّبكم الله، خرج عليكم، ولم يترك أحداً منكم إلّا جعل على رأسه التراب، وانطلق لحاجته! فوضعوا أيديهم على رؤوسهم، فرأوا التراب، وجعلوا ينظرون فيرون عليّاً نائماً، وعليه بُرد النبيّ، ﷺ، فيقولون: إنّ محمّداً لنائمٌ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام عليّ عن الفراش، فعرفوه، وأنزل الله في ذلك: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ**﴾[3] الآية[4].

وسأل أولئك الرهْطُ عليّاً عن النبيّ، ﷺ، فقال: لا أدري، أمرتموه بالخروج فخرج. فضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعةً ثمّ تركوه، ونجّى الله رسولَهُ من مَكْرهم، وأمره بالهجرة، وقام عليّ يؤدّي أمانة النبيّ، ﷺ، ويفعل ما أمره[5].

وقالت عائشة: كان رسول الله، ﷺ، لا يخطئه أحد طَرَفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر، إمّا بكرةً أو عشيّةً، حتى كان اليوم الذي أذِن الله فيه لرسوله بالهجرة، فأتانا بالهاجرة، فلمّا رآه أبو بكر قال: ما جاء هذه الساعة إلّا لأمر حدث. فلمّا دخل جلس

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٣، ١٢٤، تاريخ الطبري ٢/٣٧٠ ـ ٣٧٢.
(٢) سورة يس ـ الآيات ١ ـ ٩.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٠.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٢٣، ١٢٥.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤.

على السرير وقال: أُخرجُ من عندك. قال: يا رسول الله إنّما هما ابنتاي، وما ذاك؟ قال: إنّ الله قد أذِنَ لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصُّحْبة يا رسول الله! قال: الصُّحْبة، فبكى أبو بكر من الفرح، فاستأجرا عبدَ الله بن أرقد[1]، من بني الدّيل بن بكر، وكان مُشركاً، يدلّهما على الطريق، ولم يعلم بخروج رسول الله، ﷺ، غير أبي بكر وعليّ وآل أبي بكر، فأمّا عليّ فأمره رسول الله، ﷺ، أن يتخلّف عنه حتى يؤدّي عن رسول الله، ﷺ، الودائع التي كانت عنده ثمّ يلحقه.

وخرجا من خوخة في بيت أبي بكر في ظهر بيته، ثمّ عمدا إلى غار بثَوْر فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبد الله أن يستمع لهما بمكّة نهاره ثمّ يأتيهما ليلاً، وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثمّ يأتيهما بها ليلاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء، فأقاما في الغار ثلاثاً.

وجعلت قريش مائة ناقةٍ لمن ردّه عليهم.

وكان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما اتبع [عامرُ بن فُهَيرة] أثَره بالغنم، حتى يُعَفّيَ عليه، فلمّا مضت الثلاث، وسكن الناس، أتاهما دليلهما ببعيريْهما، فأخذ رسول الله، ﷺ، أحدهما بالثمن فركبه، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسُفرتهما، ونسيت أن تجعل لها[2] عصاماً، فحلّتْ نطاقها فجعلته عصاماً، وعلّقت السفرة به، وكان يقال لأسماء ذات النّطاقَين لذلك[3].

ثمّ ركبا وسارا، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فُهَيرة يخدمهما في الطريق، فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر، ورأوا صخرة طويلة، فسوّى أبو بكر عندها مكاناً ليقيل فيه رسول الله، ﷺ، وليستظلّ بظلّها، فنام رسول الله، ﷺ، وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعدما زالت الشمس.

وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبيّ، ﷺ، ديةً، فتبعهم سُراقة بن مالك بن جُعْشم المُدْلجيّ، فلحقهم وهم في أرض صلبة، فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركَنا الطلبُ! فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[4]، ودعا عليه رسول الله، ﷺ، فارتطمت[5] فرسُهُ

---

(١) هكذا في تاريخ الطبري ٢/٣٧٨ وفي سيرة ابن هشام ٢/١٢٦ «أرقط».
(٢) في الطبعة الأوربية «لهما».
(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٢٧، ١٢٨ تاريخ الطبري ٢/٣٧٨، ٣٧٩.
(٤) سورة التوبة، الآية ٤٠.
(٥) في النسخة (ب): «فانطمست». وارتطمت: احتبست.

إلى بطنها، وثار من تحتها مثل الدخان، فقال: ادعُ لي يا محمّد ليخلّصني الله، ولك عليّ أو أردّ عنك الطلب، فدعا له فتخلّص، فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية، فساخت قوائم فرسه في الأرض أشدّ من الأولى، فقال: يا محمّد قد علمتُ أنّ هذا من دعائك عليّ، فادعُ لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب. فدعا له فخلُص وقرب من النبيّ، ﷺ، وقال له: يا رسول الله خذْ سهماً من كنانتي، وإنّ إبلي بمكان كذا، فخذْ منها ما أحببتَ. فقال: لا حاجة لي في إبلك.

فلمّا أراد أن يعود عنه قال له رسول الله، ﷺ: كيف بك يا سُراقة إذا سُوّرت بسوارَيْ كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم. فعاد سُراقة فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلاّ قال: كفيتم ما هاهنا، ولا يلقى أحداً إلاّ ردّه[1].

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما هاجر رسول الله، ﷺ، أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا: أين أبوكِ؟ قلتُ: لا أدري، فرفع أبو جهل يده فلطم خدّي لطمةً طرح قُرطي، وكان فاحشاً خبيثاً. ومكثنا مليّاً لا ندري أين توجّه رسول الله، ﷺ، حتى أتى رجل من الجنّ من أسفل مكّة، والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه، وهو يقول:

جـزَى الله ربُّ الناس خَيرَ جزائه — رَفيقَين حَلاّ خَيمَتَيْ أُمِّ مَعبَدِ
هما نزَلا بالهَدْيِ واغتَدَيا بِهِ[2] — فأفلحَ مَنْ أمسَى رفيقَ مُحَمّدِ
ليهنيء بني كَعبٍ مكانُ فتاتهِمْ — ومقعدُها للمُؤمنينَ بمَرْصَدِ

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحبّ الطبري ١/٧٢ طبعة القاهرة ١٣٢٧ هـ.، شرح المواهب اللدنية ١/٣٤٧، سبل الهدى ٣/٣٥٤.

(٢) في سيرة ابن هشام ٢/١٢٩، وتاريخ الإسلام ٣٢٨.

هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا

وفي الطبقات الكبرى ١/٢٢٩، وأنساب الأشراف ١/٢٦٢، ونهاية الأرب ١٦/٣٣٧، وسبل الهدى ٣/٣٤٩.

هما نزلا بالبرّ وارتحلا به

وفي عيون التواريخ ١/١٠٢، وتاريخ الطبري ٢/٣٨٠، وعيون الأثر ١/١٨٩.

هما نزلاها بالهُدَى واغتدوا به

وفي الخشني:

هما نزلاها بالهدى فاهتدت به — فقد فاز من أمسى رفيق محمد

وفي شرح المواهب:

هما رحلا بالحق وانتزلا به

وانظر الأبيات في: الروض الأنف ٢/٢٢٤، والرسالة العثمانية للجاحظ ١١٢، والاستيعاب في كنى النساء، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/١١٨.

قالت: فلمّا سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة[1].

وقدِم بهما دليلهما قُباء، فنزل على بني عمرو بن عَـوْف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل يوم الاثنين، حين كـادت الشمس تعتدل، فنـزل رسول الله، ﷺ، على كُلْثُـوم ابن الهِدْم، أخي بني عمرو بن عوف. وقيل: نزل على سعد بن خَيْثَمة، وكان عَزَباً، وكان ينزل عنده العُزّاب من أصحاب النبيّ، ﷺ، وكان يقال لبيته بيت العُزّاب، والله أعلم[2].

ونزل أبو بكـر على خُبَيب بن إساف بـالسُّنح[3]، وقيـل: نزل على خـارجة بن زيـد أخي بني الحارث بن الخزرج[4].

وأمّا عليّ، فإنّه لما فـرغ من الذي أمـره به رسـول الله، ﷺ، هاجـر إلى المدينـة، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى قَدِمَ المدينةَ وقد تفطّرت قدمـاه، فقال النبيّ، ﷺ: ادعـوا لي عليّاً. قيـل: لا يقدر أن يمشي. فـأتـاه النبيّ، ﷺ، واعتنقـه وبكى رحمـةً لمـا بقدمَيْه من الورم، وتفل في يديه وأمرّهما على قدمَيْه، فلم يشتكهما بعدُ حتى قُتـل. ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها، فرأى إنساناً يأتيها كلّ ليلة ويُعطيها شيئاً، فـاستراب بهـا، فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حُنَيف، قد علم أنّي امرأة لا زوج لي، فهو يكسر أصنـام قومه ويحملها إليّ ويقول: احتطبي بهذه. فكان عليّ يذكر ذلك عن سهـل بن حُنَيف بعد موته[5].

وأقـام رسول الله، ﷺ، بقُبـاء يـوم الاثنين والثـلاثـاء والأربعـاء والخميس، وأسّس مسجدهم، ثمّ خرج يوم الجُمعة، وقيل: أقام عندهم أكثر من ذلك. والله أعلم. وأدركتْ رسـولَ الله، ﷺ، الجمعةُ في بني سـالم بن عوف، فصـلاّهـا في المسجـد الـذي ببـطن الوادي، فكانت أوّل جمعة صلاّها بالمدينة[6].

قال ابن عبّاس: وُلد النبيّ، ﷺ، يوم الاثنين، واستُنبىءَ يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وقُبض يوم الاثنين[7].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٩، ١٣٠.
(٢) السيرة ٢/١٣٥.
(٣) السُّنْح: بضمّ أوله، وسكون ثانيه. إحدى محالّ المدينة. (معجم البلدان ٣/٢٦٥).
(٤) السيرة ٢/١٣٥.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/١٣٥، تاريخ الطبري ٢/٣٨٢، ٣٨٣، أنساب الأشراف ١/٢٦٥.
(٦) السيرة ٢/١٣٦، الطبري ٣٨٣.
(٧) سبل الهدى ٣/٣٦٠.

واختلف العلماء في مُقامه بمكّة بعد أن أُوحي إليه، فقال أنَس وابن عبّاس[1]، رضي الله عنهما، من رواية أبي سَلَمة عنه، وعائشة: إنّه أقام بمكّة عشر سنين، ومثلهم قال من التابعين ابن المسيّب، والحسن، وعمرو بن دينار. وقيل: أقام ثلاث عشرة سنة؛ قاله ابن عبّاس من رواية أبي جَمْرة، وعِكرمة أيضاً عنه[2]، ولعلّ الذي قال: أقام عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة، فإنّه بقي سنين يسيرة، وممّا يقوّي هذا القول قولُ صِرْمة بن أبي أنَس[3] الأنصاريّ، شعر:

ثَوَى في قريشٍ بضع عشرةَ حِجَّةً　　يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيَا[4]

فهذا يدلّ على مقامه ثلاث عشرة سنة، لأنّه قد زاد على عشر سنين، فلو كان خمس عشرة لَصَحّ الوزن، وكذلك ستّ عشرة وسبع عشرة، وحيث لم يستقم الوزن، بأن يقول: ثلاث عشرة، قال: بضع عشرة، ولم يُنقل في مقام زيادة على عشر سنين إلّا ثلاث عشرة وخمس عشرة.

وقد رُوي عن قتادة قول غريب جدّاً، وذلك أنّه قال: نزل القرآن على النبيّ، ﷺ، بمكّة ثماني سنين، ولم يوافقه غيره[5].

---

(١) في الطبعة الأوربية: «أنس بن عباس».

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٨٤ و ٣٨٥.

(٣) في الأصل «أبي قيس بن أبي ضربة».

(٤) الشعر في سيرة ابن هشام ٢/١٥٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٨٥ و ٣٨٦، والاستيعاب ٢/٢٠٣، ٢٠٤، وسيرة ابن كثير ٢/٢٨٣، وتاريخ الإسلام ٣٣٧، وأنساب الأشراف ١/٢٦٨، ومروج الذهب (بولاق) ١/٣٠٩.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٨٧.